بسم الله الرحمن الرحيم

العناصر الاساسية للخط الفكرى لمجلة

البنوك الإسلامية

١ – تلتزم المجلة بالشريعة الإسلامية وأحكامها الاعتقادية والعملية ، والشريعة هى كل ما بلغه النبى ﷺ للناس من أحكام شرعية فى الكتاب الكريم أو فى السنة الثابتة ، وهى بهذا المعنى غير الفقه الذى هو خلاصة اجتهاد العقول المسلمة فى إطار الشريعة .

٢ – وتلتزم المجلة – بصفة خاصة – بأحكام الشريعة العملية المتعلقة بالنشاط الاقتصادى وفى مقدمتها وجوب إيتاء الزكاة وحرمة الربا ، وحرمة الكنز والإسراف ، ووجوب حماية وتوفر الحاجات الأساسية للإنسان المسلم : من حفظ النفس والعقل والدين والعرض والمال .

٣ – تدعو المجلة إلى تطهير الحياة الاقتصادية – للأمة الإسلامية ثم للعالم كله من بعد – من آفة الربا ، وتطرح على المستويين النظرى والتطبيقى – مفهوم المشاركة الكاملة بين العمل ورأس المال كبديل عن الفائدة الربوية .

٤ – يعتبر ربا – بناء على ما استقر عليه رأى الفقهاء وأوضحته المنشورات التى أصدرها الاتحاد الدولى للبنوك الإسلامية – مستفيضة وموجزة – كل فائدة محددة سلفاً قبل الإقراض أو الإيداع منسوبة إلى رأس المال أو الزمن يحصل عليها صاحب رأس المال دون مشاركة منه فى العمل أو فى المخاطرة بتحمل مسئولياته فى احتمالات الربح والخسارة أسوة بعناصر الإنتاج الأخرى .

٥ – تعمل المجلة على إنماء وتطوير الفكر الإسلامى عموماً والفكر الفقهى خصوصاً – وفى المجالات الاقتصادية بوجه أخص . وذلك فى إطار القواعد والتقاليد التى يقدمها « علم أصول الفقه »

٦ – تدعو المجلة إلى الإفادة من تراث الفقهاء السابقين واحترامه ، واختيار أكثر عناصره تلاؤما مع الظروف المعاصرة ما دام الدليل صحيحاً أو مقبولا ، ولكنها لا تتعصب لكافة محتويات هذا التراث الفقهى دون نقد ، أو لمذهب معين فيه دون غيره .

٧ – تحرص المجلة على توجيه الاهتمام المتوازن إلى كل من استيعاب إنجازات الفكر الإسلامى واستثمارها فى حل المشكلات الراهنة من ناحية ، وإلى استيعاب الواقع المعاصر ومعالجته فى ضوء أصول الشريعة ومقاصدها من ناحية أخرى ، عملا على صياغة حلول تقبلها الشريعة للمشكلات الراهنة فى الحياة الإسلامية .

٨ – العمل على صياغة نظرية إسلامية فى التنمية ودراسة احتياجاتها العملية ، ولوازمها التطبيقية . مع الإفادة – بالإضافة إلى ما سبق – بما لا يتعارض مع الشريعة من إنجازات الاقتصاد العالمى دون وقوع فى شرك التقليد أو الخضوع الفكرى .

٩ – تعمل المجلة على شق طريق جديد ، مستقل فكرياً عن أى تيار آخر فى الفكر الاقتصادى ومحاولة تحديد معالمه النظرية والتطبيقية ، يعبر عن وجهة النظر الإسلامية إلى الحياة الاقتصادية .

١٠ – تعبر المجلة عن « الاتحاد الدولى للبنوك الإسلامية » وتحاول تحقيق أهدافه ، وتلتزم بالفلسفة التى قام عليها ، والتيار الفكرى الذى يتبناه ويمثله فى العالم الإسلامى وعلى الصعيد العالمى .

البنوك الإسلامية

العدد الحادى والعشرون

صفر ١٤٠٢هـ

ديسمبر ١٩٨١م

- الأدلة الشرعية تؤكد حرمة المعاملات الربوية ٣
  سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز
- الاتحاد ينعى الشيخ محمد المبارك ٦
- عشر حقائق عن الشيخ محمد المبارك ٧
  الأستاذ أنور الجندى
- الآثار التى تحدثها النقود فى الحياة الاقتصادية ١١
  د. أحمد النجار
- البنوك القائمة ومسئولية الحاكم المسلم ١٦
  د. محمد شوقى الفنجرى
- معالم الحل الإسلامى فى الناحية الاقتصادية ٢٠
  د. يوسف القرضاوى
- منهج النظم فى إدارة الموارد البشرية ٢٤
  د. سيد الهوارى
- الضوابط الإسلامية فى إدارة الموارد البشرية ٣١
  د. حسن الشافعى
- ضوابط ومعايير الاستثمار فى المنهج الإسلامى ٤٠
  د. رفعت العوضى
- فى الحضارة الإسلامية ٥٢
  الأستاذ ابراهيم سلام
- صلة القرآن والسنة بالقواعد الاقتصادية ٥٩
  د. حسن العنانى
- جمال الدين الأفغانى والإعلام الإسلامى ٦٥
  د. محيى الدين عبد الحليم
- زيد بن حارثة ٦٩
  د. حسن العنانى
- « الاسلام والمشكلة الاقتصادية » ٧٤
  تأليف : د. محمد شوقى الفنجرى
  عرض : مأمون النجار
- من حقيبة المعرفة ٨٠
  الأستاذ محمد شلبى

الإخراج الفنى : سعيد المسيرى

تصدر : من أجل منهج إسلامى عن طريق إدارة حوار مفتوح وموسع يشترك فيه العلماء ورجال الدين ويشارك فى تحريرها علماء وأساتذة متخصصون فى كل أرجاء الوطن الإسلامى .

وتوزع فى المملكة العربية السعودية ، قطر ، البحرين ، الأردن ، مصر ، السودان ، ليبيا ، الجزائر ، المغرب ، تونس ، ماليزيا ، أندونيسيا ، باكستان ، الهند ، تركيا ، إنجلترا ، أمريكا ، كندا ، استراليا ، ألمانيا .

مدير التحرير

محمد شلبى

العنوان : ٤٧ شارع العروبة

مصر الجديدة - القاهرة

تليفون : ٦٦٩٤٩٤ - ٦٦٥٣٣٨

تلكس : ٩٤٣٣٨ UN I.A.I.B

البحوث والمقالات التى تنشرها المجلة تعبر عن رأى كاتبيها وهى لا تعبر بالضرورة عن رأى المجلة . والكتاب والمفكرون وهم يقدمون نتاج أبحاثهم وخلاصة اجتهاداتهم يسهمون معا فى السعى من أجل اكتشاف الهوية الاقتصادية الاسلامية . والوصول الى صيغة عصرية لتطبيق النظام المالى الاسلامى .

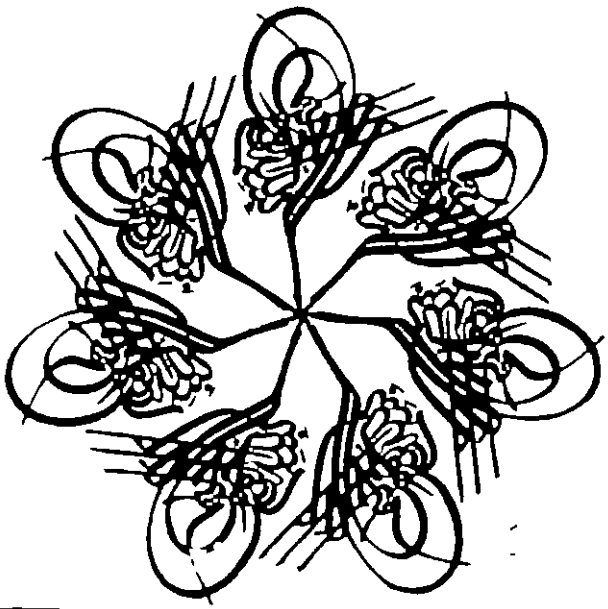

الأدلة الشرعية تؤكد حرمة المعاملات الربوية

□ أكد سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز الرئيس العام لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد على أن فوائد المعاملات الربوية حرام .

وقد ذكر سماحته فى رسالة وجهها إلى عامة المسلمين الأدلة الشرعية على ذلك من الكتاب والسنة . ووجه سماحته نصيحة الى المسلمين فى الصحف المحلية خاصة وفى صحف البلاد الاسلامية عامة أن يطهروا صحفهم من نشر كل ما يخالف شرع الله ، فى أى مجال من مجالات الحياة ، كما أعرب سماحته عن أمله فى قيام الجهات المسئولة بالتأكيد على رؤساء الصحف بأن لا ينشروا شيئا فيه مخالفة لدين الله وشرعه .

الأدلة الشرعية تؤكد حرمة المعاملات الربوية

□ **وفيما يلى نص البيان الذى وجهه سماحته إلى عامة المسلمين وخاصتهم**

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الانبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن سار على نهجهم واهتدى بهداهم الى يوم الدين ـــ وبعد :

فقد كثرت الدعايات للمساهمة فى البنوك الربوية فى الصحف والمجلات المحلية والاجنبية وإغراء الناس بايداع أموالهم فيها مقابل فوائد ربوية صريحة معلنة كل بحسب الفترة الزمنية التى يبقى فيها ماله مودعا فى ذلك البنك ومن المعلوم من الدين بالضرورة أن الفوائد التى يأخذها ارباب الأموال مقابل مساهمتهم أو ايداعهم فى تلك البنوك حرام سحت وهى عين الربا الذى حرمه الله ورسوله ومن كبائر الذنوب ومما يمحق البركة ويفسد المال على صاحبه اذا خالطه وبسبب عدم قبول عمله ، وقد صح عن رسول الله انه قال « **ان الله تعالى طيب لا يقبل الا طيبا**»**وان الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين** فقال تعالى « **يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا** » وقال تعالى « **يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم** » ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه الى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فأنى يستجاب له » رواه مسلم .

وليعلم كل مسلم أنه مسئول أمام ربه عن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه . ففى الحديث عن النبى ﷺ انه قال : (**لن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع : عن شبابه فيما أبلاه وعن عمره فيما أفناه وعن ماله من أين جمعه وفيم أنفقه وعن علمه ماذا عمل به**) واعلم أيها المسلم وفقك الله أن الربا كبيرة عظيمة من كبائر الذنوب التى جاء تحريمها فى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ بجميع أشكاله وأنواعه ومسمياته قال تعالى « **يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون** » وقال تعالى « **وما اتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس فلا يربو عند الله** » وقال تعالى « **الذين ياكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا انما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا . فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره الى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون . يمحق الله الربا ويربى الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم**) وقال تعالى (**يا أيها الذين امنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون**) . وقال النبى ﷺ « **اجتنبوا السبع الموبقات قالوا يا رسول الله وما هن قال : الشرك بالله والسحر وقتل**

نصيحتي لكل مسلم أن يكتفي بما أباح الله ورسوله وأن يكف عما حرمه الله ورسوله.

عبد العزيز بن باز

النفس التي حرم الله الا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات » ومعنى الموبقات : المهلكات . وقد عد الربا منهن . وقال ﷺ « الربا ثلاثة وسبعون حوبا أيسرها مثل أن يأتي الرجل أمه » وصح أن رسول الله ﷺ قال : « لعن الله آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه وقال : هم سواء » وقال ﷺ : « الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والتمر بالتمر والشعير بالشعير والملح بالملح مثلا بمثل يدا بيد فمن زاد أو استزاد فقد أربى الآخذ والمعطي فيه سواء » رواه مسلم . فهذه بعض الأدلة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ تبين تحريم الربا وخطره على الفرد والأمة وأن من تعامل به وتعاطاه فقد أصبح محاربا لله ورسوله .

فنصيحتي لكل مسلم أن يكتفي بما أباح الله ورسوله وأن يكف عما حرمه الله ورسوله . ففيما اباح الله كفاية وغنى عما حرم وألا يغتر بكثرة بنوك الربا وانتشار معاملاتها في كل مكان فان كثيرا من الناس اصبح لا يهتم بأحكام الاسلام وانما يهتم بما يدر عليه المال من أي طريق كان وما ذلك الا لضعف الايمان وقلة الخوف من الله عز وجل وغلبة حب الدنيا على القلوب نسأل الله السلامة . وهذا الواقع المؤلم من الكثير من المسلمين يوجب على المؤسسات الخاصة والجهات الرسمية وخواص التجار بأن يتعاونوا جميعا على تعزيز المصارف الاسلامية التي بدأت تظهر في بلاد المسلمين وثبت نجاحها ولله الحمد وأن يعمل الجميع على تحويل البنوك القائمة اليوم الى بنوك اسلامية تكون معاملاتها متمشية مع الشريعة الاسلامية وخالية من الربا بجميع أشكاله وصوره كما انى أوجه نصيحتي الى المسئولين في الصحف المحلية خاصة وفي صحف البلاد الاسلامية عامة أن يطهروا صحافتهم من نشر كل ما يخالف شرع الله في أي مجال من مجالات الحياة ، كما آمل من الجهات المسئولة التأكيد على رؤساء الصحف بأن لا ينشروا شيئا فيه مخالفة لدين الله وشرعه .

والله المسئول أن يوفق المسلمين عامة وولاة أمورهم خاصة للتمسك بشرعه وتحكيم شريعته وأن يأخذ بنواصيهم الى ما فيه صلاح دينهم ودنياهم وأن يجنبنا جميعا طريق المغضوب عليهم والضالين ، إنه ولي ذلك والقادر عليه وصلى الله على خير خلقه وعلى آله وصحبه أجمعين .

عبد العزيز بن عبد الله بن باز

الرئيس العام لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد

الاتحاد الدولى للبنوك الإسلامية

ينعى إلى العالم الإسلامى

فضيلة الدكتور محمد المبارك

الشيخ محمد المبارك

إنا لله وإنا اليه راجعون

طوى الجزيرة حتى جاءنى خبر فزعت فيه بآمالى الى الكذب

لا راد لقضاء الله ولا معقب لحكمه ...

إفتقدت أخى فضيلة الدكتور محمد المبارك ، وافتقده جميع أحبائه ، وافتقده مفكرو المسلمين ، وافتقده العاملون المجاهدون فى الساحة الاسلامية ، وافتقدته الأمة الاسلامية جمعاء .

عرفته أول ما عرفته أستاذا للشريعة بجامعة أم درمان الاسلامية ، ومنذ أن عرفته وحتى لقى ربه وجدت فيه المسلم العابد ، المؤمن الزاهد ، المفكر المستنير ، الفقيه المجتهد .

لقد كان على رأس المآثر التى يتمتع بها الفقيد العزيز — يرحمه الله — أنه كان عالما عاملا . لم يكتف بالحماس أو المساندة العلمية لقضية تطبيق الشريعة الاسلامية فى المجال الاقتصادى بل تجاوز ذلك الى المساندة العملية للبنوك الاسلامية والمؤسسات المالية الاسلامية ، لم يقف رحمه الله عند حد الدعوة بالقلم واللسان بل شارك فى تأسيس العديد من المؤسسات المالية الاسلامية .

رحم الله أخى الشيخ محمد المبارك .. رحمه عالما ، ورحمه داعية لتطبيق الشريعة الاسلامية ، ورحمه صوتا عاليا مدافعا عن البنوك الاسلامية ، ورحمه مربيا وأستاذ جيل ، ورحمه أمينا على ما حباه الله به من علم ، وأسبغ عليه من فيض نعمائه ، وأسكنه فسيح جناته .

إن العين لتدمع ، وإن القلب ليجزع ، وإنا على فراقه لمحزونون .

أحمد النجار
الأمين العام للاتحاد الدولى للبنوك
الاسلامية

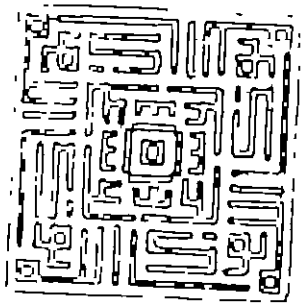

عشر حقائق عن العلامة محمد المبارك فقيد الفكر الإسلامي

أنور الجندي
عضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة

أولا : كان الدكتور « محمد المبارك » من ذلك الرعيل الأول للنهضة الإسلامية فى العالم العربى ، ومن المدرسة الشامية السلفية التى نشأت فى ظل الاحتلال الغربى للعالم الإسلامى متسلحة بالمفهوم الأصيل للإسلام : بوصفه منهج حياة ونظام مجتمع ، ومن هذه المدرسة أعلام ذهبوا إلى رحمة الله ومنهم من بقى أمد الله فى أعمارهم ومن هؤلاء مصطفى السباعى وعمر الأميرى ومعروف الدواليبى ومصطفى الزرقا .

وهؤلاء هم تلامذة جيل رائد منهم طاهر الجزائرى وبهجت البيطار وجمال الدين القاسمى ورشيد رضا وهم الذين شهدوا جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده .

وكان والده « عبد القادر مبارك » علامة دمشق وأحد عمد فكرها الإسلامى الحديث فى حلقة طاهر الجزائرى وكان لهذا البيت المبارك اهتمامه وولاؤه وشغفه باللغة العربية وقد تتلمذ العلامة « محمد المبارك » لثلاثة من النوابغ : والده والشيخ سليم الجندى ومحدث الشام محمد بدر الدين ، وأتيح له فى مطالع شبابه أن يقضى الساعات الطوال مع والده فى شرح المعلقات أولامية العرب للشنفرى والمقصورة الدريدية أو مقامات الحريرى وأمثالها من آثار اللغة وحصونها وكانت الأسرة من ذلك الرعيل الذى ورد الشام مع المجاهد الجليل عبد القادر الجزائرى عند هجرته من الجزائر إلى دمشق بعد انكساره فى الحرب مع فرنسا وجده محمد المبارك الكبير الجزائرى الحصنى

ثانيا : كانت اللغة العربية هى القضية الكبرى فى وجه الشاب الذى ذهب إلى باريس عام ١٩٣٥ للتخصص فى الآداب حيث ظل متصلا بوالده بالرسائل خلال بعثته للتقصى والتوسع فى دراسة فقه اللغة ، وقد تولى بعد عودته من أوربا تدريس علم العربية فى المدرسة التجهيزية وفى كلية الآداب والشريعة بجامعة دمشق حتى وصل إلى عمادتها ثم عمل فى تفتيش العربية بالمدارس ، ثم عمل وزيرا بين ١٩٤٧ ــ ١٩٥٨ وشارك فى عديد من أوجه النشاط الفكرى العربى والإسلامى ، وشهد عشرات من المؤتمرات التى عقدت فى السنوات العشر الأخيرة من الجزائر إلى فرنسا إلى لاهور إلى مكة المكرمة والرياض .

وكان قد أعطى تجربته فى هذه السنوات للمملكة العربية السعودية وفى العامين الأخيرين انتدب للتدريس فى جامعة الأردن دون أن يقطع علاقته بالمملكة السعودية .

ثالثا : عمل فى مجال التأليف فقدم عددا كبيرا من الأبحاث والدراسات فى اللغة والاسلام والحضارة والفكر الإسلامى وكان يعد موسوعة فى النظام الإسلامى ، فقدم حلقات عن الاقتصاد والشريعة والعقيدة والاجتماع

وفى مجاله الأساسى قدم نظريته فى خصائص اللغة العربية فى كتابين :

(١) فقه اللغة حيث يقدم دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية فى تركيب حروفها واشتقاقها .

(٢) خصائص اللغة العربية .

وله : رسالة (من منهل الأدب الخالد) التى عرض فيها لعناصر الفن واسرار البيان فى القرآن .

وله : رسالة (نحو وعى اسلامى جديد) دعا فيها إلى إصلاح التدريس فى المعاهد والجامعات الإسلامية وإلى أن تكون رسالة الأزهر باعثة للإيمان الصحيح فى القلوب والعقول .

وله : (الأمة العربية فى معركة تحقيق الذات)

وله : (ذاتية الإسلام) .

وله : بحث عن موسوعة الفقه الاسلامى رسم فيها بيان فكرة هذه الموسوعة التى تفتح أمام الأنظار العالمية لأعظم ثروة فقهية عرفها تاريخ الأمم معروضة بالطرق الحديثة خدمة للتشريع وتنمية لثروته القانونية وتغذية للنهضة العربية الحديثة .

وله : [الدولة عند تيمية]

وله : « نظرة الإسلام إلى الوجود » وأثرها فى الحضارة .

رابعا : صوّر الدكتور « المبارك » منهجه فى عبارات قصيرة وعميقة حيث قال :

« آثرت بعد اشتغالى بالتدريس بالجامعات أن أحافظ على خطوط فكرية ثلاثة كنت دوما اتنقل بينها واتابع المدارسة والبحث فى آفاقها ، وهى « اللغة » و « الفكر الإسلامى » وخصائص الأمة العربية . وذلك حفاظا على لغة القرآن التى هى آداة تفكيرنا ، وفن تعبيرنا ، ووسيلة آدائنا لرسالتنا ، بها توارثنا مكارم أمتنا ، وبها نزل كتاب الله علينا ، وفيها يكمن الكثير من قوتنا ، والثمين من تراثنا » .

وهكذا كانت اللغة العربية هى قضيته الأولى مرتبطة بإعلاء شأن القرآن الكريم والمحافظة عليه ، يقول : ألغيت الإقبال على الأبحاث اللغوية إحياء لميل قديم موروث طالما قضيت الساعات الطوال مع والدى لدراسة آثار العرب وكانت المراسلات بينى وبينه حين سافرت إلى باريس للتخصص تدور حول القضايا العلمية ولاسيما اللغوية منها . وقد أودعت خلاصة

لو استعرضت كتاب الله تبارك وتعالى لخرجت منه بفكرة محيطة شاملة تحيط بالكون والإنسان ونواحي الحياة والنشاط وتربطها جميعًا بخالقها. محمد المبارك

تجربتي في اللغة في كتابين اخرجتهما وحاولت في ثانيهما أن أقدم نظرية عامة مقارنة في خصائص اللغة

خامسا كانت قضية التربية الإسلامية هي أكبر قضاياه بعد اللغة فقد كان حريصا على تقديم تجاربه الواسعة في هذا المجال من أجل تحرير منهج التربية في البلاد العربية الإسلامية من النفوذ الأجنبي

سادسا يؤمن الدكتور « محمد المبارك » بما يسميه « طريقة القرآن » ويدعو إلى ذلك . يقول : لقد كان عمل القرآن النوري في قلب أوضاع العاملين وتصحيح القيم وتبديل الأفكار وتغيير معالم الحياة ناجما عن أفكار سياسية عميقة أبرزها وأشاعها ورسخها في النفوس وبثها في العقول وهي أفكار خالدة وقيم رائعة ، وعلينا أن نبين أن لكتاب الله العظيم طريقته الحكيمة في الجمع بين مخاطبة العقل والقلب متحررين في ذلك من طريقة المتكلمين المتأثرين بفلسفة اليونان ومن تشويه العصور المتأخرة ومفاهيمها الضيقة المضطربة في أمر التحرر ، كذلك من إقحام المفاهيم الغريبة على الاسلام من منتجات الحضارة الحديثة التي حاول بعض تلاميذ الثقافة الأوربية الخاضعين لنفوذها خضوعا مطلقا أن يخضعوا الاسلام لمقاييسها ويتعسفوا في تأويله حتى يوافق مبادئها فأفقدوه بذلك خاصيته وأضاعوا ذاتيته .

سابعا كشف زيف التغريب والغزو الثقافي .

فقد استطاع الدكتور محمد المبارك أن يتعلم في الغرب وكان له من أصالته وخلفيته الإسلامية القدر الكافي الذي حماه من الانزلاق أو من احتوائه ، وقد كشف زيف الاستشراق وعمل التبشير ومحاولة التأثير على شباب الإسلام ليعملوا بعد عودتهم تابعين أو خداما للفكر الغربي ، وكان شأنه في هذا التحرر شان الدكتور عبد الحميد سعيد والدكتور يحيى أحمد الدرديري والدكتور علي مظهر والشيخ عبد العزيز جاويش الذين عرفوا أساليب المستشرقين ونجوا من مصائدهم .

ثامنا : **الإسلام يقدم نظرية كاملة للمجتمع والحضارة .**

وهو يحدد موقف الإسلام الذي حمله العرب إلى العاملين بأنه يقدم نظرية كلية شاملة وانه لم يجزىء الحياة بل نظر اليها نظرة موحدة متصلة يقول : « لو استعرضت كتاب الله تبارك وتعالى لخرجت منه بفكرة محيطة شاملة تحيط بالكون والإنسان ونواحي الحياة والنشاط وتربطها جميعا بخالقها ونهايتها » .

وهو يؤمن بأن كل ما فى الحضارة الاسلامية متفرع من الإيمان بالله واليوم الآخر بحيث لاتنفك هذه العقيدة عن تلك الحضارة ولا عن النظام التشريعى والأخلاق المنبثق منها والمبنى على أساسها ، واذا كان لكل حضارة مميزات وخصائص فإن أهم خصائص الحضارة العربية الإسلامية بوجه عام هو اتصال العقيدة بالنظام ، والنظام بالعقيدة ، وكل فصل بينهما إفساد لخصائص هذه الحضارة فالعقيدة هى الخاصية الأساسية التى إذا فقدناها ، فقدنا الأصل من شخصيتنا العربية وفقدنا الأساس من حضارتنا الإسلامية بل فقدنا إنسانيتنا نفسها كما فقدتها الحضارة الحديثة . وعلى أساس هذا الإيمان الذى يسمو فوق كل إيمان غيره يجب أن تبنى مناهج التعليم فى مدارسنا فى جميع مواد الدراسة لا أن يكون الدين درسا ملحقا أو رقعة فى نظام تعليمى يقوم على أساس لا مكان فيه لوجود الله تبارك وتعالى والإيمان به ويجب أن يكون تعليم الطبيعيات والأخلاق والفلسفة قائما على أساس وطيد من الإيمان بالله ولقائه وحسابه .

تاسعا : الإيمان بأن نظرية القوميات كانت من أخطر التحديات التى واجهت المسلمين ففرقت وحدتهم الإسلامية الجامعة ، وكشفت عن الفوارق العميقة بين مفهوم مصطلح الأمة بين المفهوم الإسلامى والمفهوم الغربى مما جعل الصراع فى العصر الحديث بين الإسلام والمذهب القومى العقائدى صراعا بين التقدم والتخلف ، وبين التحرر والتبعية ، وبين الإنسانية والعنصرية ، وقد جاء هذا تأثرا بالفكرة العلمانية الوافدة من الغرب والمتأثرة بطرقه الخاصة والقائلة بفصل الدين عن الدولة والمجتمع والسياسة .

وهو يؤمن بأن للأمة العربية التى حملت لواء الإسلام إلى العالمين دورا فى العصر الحديث ، ليس من منطلق القومية أو العنصرية وإنما من منطلق الأمانة التى حملها بنزول القرآن عليه وانبعاث محمد ﷺ من أهله . فالأمة العربية بمكانها الثقافى والجغرافى وموقعها القيادى فى العالم الإسلامى تستطيع أن تقوم بدور المنقذ ، وأن تكون رائدة الحضارة الإنسانية المقبلة وطليعتها ، ذلك أن الأمة العربية هى منطلق الإشعاع للعالم الإسلامى كله .

عاشرا : دعوته إلى عالمية الإسلام وسعيه الحثيث فى زياراته لأوربا وحضور مؤتمرات الغرب فى الكشف عن هذه الخاصية ، ودعوة أهل الغرب إلى فهم الإسلام بوصفه البلسم الشافى لكل أمراضهم وأزماتهم . وخاصة بعد أن تطورت المذاهب الغربية الديمقراطية والماركسية وبدأ أهلها ينقدونها من داخلها ، وحاجة الغرب إلى منهج القرآن الكريم وأن العقل الإنسانى يدل على حقائقه ويصل إلى مفاهيمه من غير عناء ، كما يستطيع إثبات الوحى ونبوة محمد ﷺ .

وهو يوصى باحثى المسلمين أن لايقبلوا الفكر الغربى وأن ينقدوه وأن يكشفوا إنشطاريته وماديته ووثنيته وأن يقدموا الإسلام الذى هو المفهوم الجامع الشامل للإنسان روحا ومادة ودنيا وآخرة ، وعقلا وقلبا .

تلك عشر حقائق عن حياة العلامة الدكتور محمد المبارك الذى ودع عالمنا وعبر إلى العالم الآخر (صفر ١٤٠٢) رحمه الله رحمة واسعة وأجزل مثوبته .

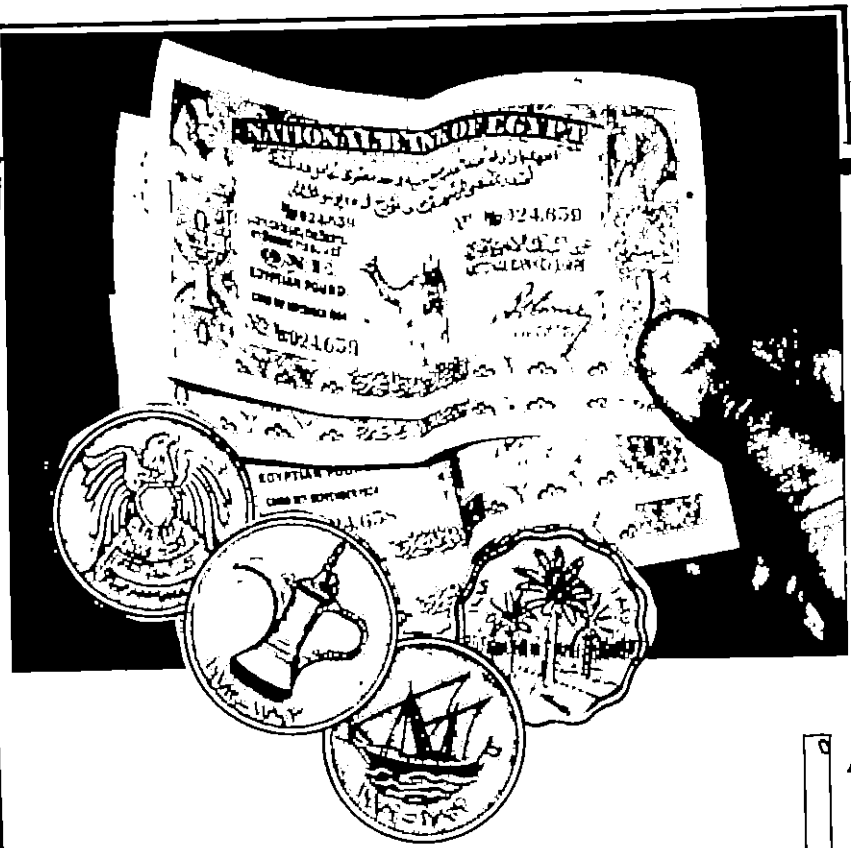

الأخطاء التى تحدثها النقود فى الحياة الاقتصادية

د. أحمد النجار

نظرة الاقتصاديين الأوائل الى النقود كعامل غير مؤثر :

١ - نظرية الكمية :

كان الاقتصاديون الأوائل ينظرون الى النقود على أنها محايدة بالنسبة الى مجرى النشاط الاقتصادى ولا تسبب من ناحيتها أى صعوبات فى سير هذا النشاط فالنقود فى نظرهم لا تخرج عن كونها قناعا يخفى من ورائه التحركات السلعية ، ولا شك فى أن النظرة جعلت كل نظرياتهم ذات صبغة سلعية ، وتحتل نظرية الكميه محور آرائهم ، ومقتضى هذه النظرية أن تغيرات كمية النقود هي وحدها التى تؤدى الى حدوث تقلبات مستوى الأسعار فى المدة القصيرة فيرتفع هذا المستوى عند زيادة كمية النقود وينخفض عند نقصانها .

النقود × سرعة تداولها + النقود الكتابية × سرعة تداولها = مستوى الاسعار فى حجم المعاملات .

ويؤخذ على هذه النظرية ما يأتى :ـ

أ ـ العلاقة السببية بين كمية النقود ومستوى الأسعار لا توجد بهذه الدقة لأنه فى الغالب لا ترتفع أسعار السلع جميعها بنفس النسبة وبصورة ميكانيكية ولكن ما يحدث هو خلل فى العلاقات بين أسعار السلع . كما لا تفسر لنا ارتفاع بعض الأسعار دون الأخرى فأهملت النواحى النفسية التى تتعلق بالانفاق والادخار بل ان قرارات الأفراد قد تتأثر بالاسعار وبالتالى تؤثر على كمية النقود وليس كما قالت النظرية إن الأسعار تابعة للكمية فقط .

ب ـ استخدامها أرقاما غير واقعية فلا حجم المعاملات ولا مستوى الأسعار ولا سرعة تداول النقود يمكن قياسها بدقة بل يصعب التكهن بها أو تقدير مستواها ولا يمكن وضع سياسة اقتصادية إستنادا الى بيانات تقديرية .

الفترة الأولى	الفترة الثانية	الفترة الثالثة	الفترة الرابعة	الفترة الخامسة
(١)	(٢)	(٣)	(٤)	(٥)
		استهلاك		استهلاك الخ
كمية النقود		← دخل		استثمار الخ
← دخل		استثمار		استهلاك الخ
		← دخل		استثمار الخ

فى هذه التحركات تتأثر أسعار السلع أو لا تتأثر وهكذا يظل تدفق النقود فى النشاط الاقتصادى الى أن يتكون مستوى الأسعار النهائى . ويمكن تلخيص جوهر هذه النظرية فى أنها تتبع حركة النقود طوال فترة تكوين الدخول وانفاقها وبالاخص آثارها على تكوين الأسعار وطبيعى أن مستوى الدخل لا يظل كما هو فتدفق الدخل يتأثر بالاكتناز والانفاق والائتمان وعدمه . ولو حدث وظل الدخل ثابتا (وهذا يعتبر شاذا) فانه يصبح لدينا نقود محايدة

٣ ـ حياد النقود :

يقصد بحياد النقود ألا يكون لها تأثير على النشاط الاقتصادى . بمعنى أن يسير النشاط الاقتصادى وكأنه فى حالة مقايضة .

وليس المقصود بفكرة حياد النقود اسقاط النقود من التعامل ، ولكنها طريقة للوصول الى حصر الآثار التى يتعرض لها النشاط الاقتصادى الطبيعى (أى فى حالة عدم وجود نقود) .

ومن ملامح الاقتصاد السلعى سريان قانون « ساى » حيث كل عرض فى عملية تبادل مباشر مرتبط بطلب . أى أن العرض الكلى متساوٍ دائما مع الطلب الكلى .

ووجود النقود (التعامل) يجعل العملة التبادلية ذات شقين : فإذا لم تنفق النقود الناشئة عن بيع شىء معروض فطبيعى أنه لن يتطابق العرض مع الطلب ويصبح العرض أكبر من الطلب والعكس صحيح ففى حالة زيادة النقود عن حاجة التعامل يصبح الطلب أكثر من العرض .

ولقد كان الاقتصاديون الكلاسيك يرون أنه لا ضرر من ذلك اذا ما صاحب تغيير كمية النقود ـ على الفور ـ تغير فى الاسعار بنفس المستوى .وقادهم هذا الفرض الى النظر الى النقود دائما على أنها محايدة ، ولكننا فى الواقع نجد أن اختلاف مرونة الاسعار واختلاف سرعة استجابة أسعار السلع بعضها عن بعض يؤدى الى وجود مستوى أسعار وعلاقات بين السلع بصورة مختلفة تماما عن المستوى القديم . وتحدث هذه التغيرات فقط عند تقليل أو زيادة كمية النقود الفعالة . ولذلك يرى من يمثلون فكرة حياد النقود أنه يجب أن تظل كمية النقود الفعالة ثابتة أى حيادية .

سياسة حياد النقود :

تهدف هذه السياسة الى ابقاء كمية النقود الفعالة ثابتة ، ولما كانت هنالك قوى وعوامل فى الاقتصاد تحول دون بقاء هذه الكمية ثابتة فانه يجب على الدولة التى تهدف الى بقاء كمية النقود ثابتة ـ أن تتبع سياسة نقدية تعويضية ، فمثلا يجب مقابلة زيادة أو نقصان كمية النقود بسياسة إئتمانية مضادة .

ولا شك أن هناك عدة صعوبات تعترض تطبيق هذه السياسة فى المجتمع المعاصر . فمن الصعب مثلا تقدير حجم الاكتناز أو تقدير حجم الأموال المكتنزة التى يتوقع انفاقها فجأة ، وبالتالى يصعب وضع السياسة التعويضية المناسبة .

وبالرغم من ذلك يرى البعض أن هذه السياسة قد تنجح فى تحقيق ثبات تقريبى ـ إن لم يكن تاما ـ فى كمية النقود[1] .

☐ سياسة حياد النقود تحول دون حدوث تقلبات وأزمات ولكن لا تدعم النمو الاقتصادى

☐ سياسة ثبات قيمة النقود تمنع تقلبات الأسعار ولكن لا تمنع تقلبات الكميات

٤ ــ تثبيت قيمة النقود :

يقصد بثبات قيمة النقود أن يكون لها فى كل وقت نفس القوة الشرائية أو بمعنى اخر نفس مستوى الأسعار . ويمكن تحقيق ذلك طبقا لنظرية الكمية اذا كانت النسبة بين كمية النقود وكمية السلع ثابتة .

سياسة تثبيت قيمة النقود :

تسعى الدولة لتحقيق ثبات قيمة النقود الى زيادة كمية النقود الفعالة مع نمو الاقتصاد . وتقليل كمية النقود مع انكماش الاقتصاد .

وتتلخص حجج أنصار سياسة تثبيت النقود فى :ــ

أ ــ تحقيق العدالة بين المدينين والدائنين .

ب ــ تحقيق العدالة لأصحاب الدخول الثابتة والمتغيرة .

جـ ــ القضاء على المضاربة .

د ــ استقرار حالة الصناعة .

هـ ــ زيادة المدخرات الفردية السائلة .

غير أنه يواجه هذه السياسة صعوبات عدة ، فمثلا : أى الأسعار ينبغى تثبيتها ! وأى رقم قياسى ينبغى أن تأخذ به السياسة الائتمانية ؟ هل هو متوسط أسعار الجملة ؟ أم أسعار التجزئة ؟

ولقد أثار الناقدون لسياسة تثبيت النقود نقاطا عدة . نذكر منها :

١ ــ قد تكون تغيرات الأسعار راجعة الى عوامل غير نقدية ، فإذا انخفضت التكاليف نتيجة تقدم فنى مثلا مع عدم السماح للاسعار بالانخفاض ، فان ذلك يسبب خللا بين الصناعات المختلفة ، وغالبا ما يؤدى الى انكماش فى بعض الصناعات على حساب الاخرى . واستمرار ثبات الأسعار يزيد من صعوبة التغلب على الأزمة ، لأن الصناعات التى انخفضت تكاليفها ستتوسع بدون حدود (بفرض أن الأجور لم ترتفع لتزيل آثار هذا الانخفاض فى التكاليف) والعكس فى حالة زيادة التكاليف .

٢ – يقال إن ثبات الأسعار يجعل سياسة تحقيق العمالة الكاملة صعب التحقيق ، وعموما فان الصعوبات التى تواجه سياسة تثبيت قيمة النقود تعتبر أقل من الصعوبات التى تواجه سياسة حياد النقود ، حيث تعتمد الأولى على مستوى الأسعار بينما تعتمد الثانية على كمية المكتنز والمنفق وهو ما يصعب تقديره .

وربما كان من المجدى فى هذا المقام عقد مقارنة بين سياسة حياد النقود وسياسة ثبات قيمة النقود .

أولا : فى حالة الاقتصاد النامى (المتجه الى النمو)

لا تتفق السياستان فى حالة الاقتصاد النامى ، ثبات قيمة النقود تتطلب زيادة كمية النقود مع كل زيادة فى كمية السلع ، بينما فى حالة سياسة حياد النقود تظل الكمية على ما هى عليه . وفى هذه الحالة لابد وأن تنخفض الأسعار ومعنى ذلك تصبح قيمة النقود غير ثابتة .

ويمكن أن تتفق السياستان فقط بمعنى أن تصبح النقود حيادية وثابتة القيمة فى آن واحد فى حالة الاقتصاد الثابت أى الذى لا يتجه نحو النمو أو النقصان حيث أن ثبات كمية السلع (تطبيقا لسياسة تثبيت قيمة النقود) تتطلب ثبات كمية النقود ، وهو نفس ما تهدف اليه سياسة حياد النقود . أى أن الفرق فى حالة الاقتصاد المتطور أو النامى يتلخص فى :

أ ــ النقود المحايدة = ثبات كمية النقود الفعالة ، تغير مستوى الأسعار .

ب ــ ثبات قيمة النقود = تغير كمية النقود الفعالة ، ثبات مستوى الأسعار .

الادخار ويقلل من الاتجاه الى شراء الطبيات فى حالة أى اتجاه تصاعدى فى مستوى الأسعار .

أما بالنسبة للاستثمارات فلن يكون هنالك ذلك الشعور بأنه يمكن سداد الديون مستقبلا بقيمة أقل ، مما يقلل من حجم الاستثمارات المقامرة أو تلك التى تقامر على المستقبل .

الا أنه يجدر ملاحظة أن النقص فى الاستثمارات سوف لا يصيب سوى تلك الاستثمارات المضاربة فقط حيث أن انتاجية الاستثمارات الاخرى وسلامتها تعتبر أهم ألرا وأكبر حجما من هذه الاستثمارات المضاربة .

فى حالة النقود المحايدة فانه سيصحب نمو الاقتصاد انخفاض فى الأسعار بحيث يحقق المدخر زيادة فى قيمة مدخراته بعد مضى فترة من الوقت ، أي أن المدخر فى هذه الحالة يحصل على نوع من العائد الطبيعى .

أمال بالنسبة للاستثمارات والمخزون فسيتعرضان للتناقص ، لأن المستثمر يخشى انخفاض الأسعار وبالتالى يضطر الى دفع الديون المستحقة بقيمة أكبر نسبيا عند السداد (لأنه اقترض فى وقت كانت الأسعار فيه أعلى وسيضطر الى السداد والأسعار أقل) .

وإجمالا ، فانه يمكن القول بأن النمو الاقتصادى الذى يعتمد على الادخار والاستثمار يتأثر تأثرا غير مباشر فى حالة النقود المحايدة وان كانت هذه الحجج ماتزال محل أخذ ورد ومناقشة .

ثالثا : الأثر بالنسبة للدورات الاقتصادية .

تهدف كل من سياسة حياد النقود وسياسة تثبيت النقود الى ازالة الخلل الذى قد تحدثه النقود وذلك بتجنب التقلبات الدورية ، ولما كان من المتعذر التوفيق بين السياستين الا فى حالة الاقتصاد الثابت كما سبق وان ذكرنا — فلابد من أن توجد سياسة واحدة صالحة لتحقيق هذا الهدف (إذا كان ذلك ممكنا) .

ولنتصور الآن الوضع فى حالة تثبيت قيمة النقود : من البديهى أنه لن يكون هناك تضخم فى الأسعار ، لأن الأسعار مثبتة ، ولكن الى أى مدى يحدث تضخم فى الكميات ؟ والى أى مدى يحدث خلل ؟

ولو تصورنا تقدما علميا مستمرا نشأ عنه انخفاض فى بعض الأسعار ، فانه بناء على سياسة تثبيت قيمة النقود ينبغى على الدولة زيادة كمية النقود بحيث ترتفع أسعار أخرى . وبسبب هذا أرباحا كبيرة لبعض المنظمين والى عدم التوازن فى مختلف الصناعات مما قد يؤدى الى فشل هذه السياسة . وقد عزى البعض ظهور الأزمة العالمية سنة ١٩٢٩ بالنسبة للصناعات الامريكية — الى هذه العوامل أما فى حالة سياسة حياد النقود ، ولازالة التقلبات الدورية ، فانه يمكن تصور السلسلة السببية الآتية :

نقود حيادية = كمية نقود فعالة ثابتة = دخل ثابت = طلب ثابت .

أو بمعنى آخر يتحقق تطبيق قانون « ساى » حيث **العرض الكلى = الطلب الكلى** ومن ثم فلن تكون هناك تقلبات .

وقد يعترض البعض على ذلك بأن كل التقلبات لا ترجع الى النقود . اذ توجد تقلبات ترجع الى اسباب سلعية أو نفسية . ومن ثم تحدث تقلبات بالرغم من سياسة حياد النقود . وبالرغم من صحة هذا الاعتراض

الا أن ذلك ينحصر فى مرحلة بدء التقلبات غير أن استمرارها يعنى تغير كمية النقود وبالتالى عدم حيادها . فحياد النقود يعنى حقيقة عدم وجود تقلبات بالمرة .

ومجمل القول فان سياسة حياد النقود تحول دون حدوث تقلبات وأزمات ولكن لا تدعم النمو الاقتصادى ، أما سياسة ثبات قيمة النقود فانها تمنع تقلبات الأسعار ولكن لا تمنع تقلبات الكميات .

وقد يثور السؤال من إمكان تطبيق السياستين معا ويمكن القول بأنه فى حالة ظهور تقلبات تصاعدية اتباع سياسة حياد النقود لمنع الاكتناز وتجنب انخفاض الدخل الكلى والطلب الكلى والعمالة ، ولكن قد تفضل بوجه عام سياسة ثبات قيمة النقود حتى تتاح للكميات السلعية أن تزداد ، الا أنه مع تزايد النمو وتفاقم الخلل فى العلاقات بين الأسعار المختلفة فانه يستحسن اتباع سياسة حياد النقود .

رابعا : الآثار الاجتماعية :

تتجه الأسعار فى حالة سياسة حياد النقود فى الاقتصاد النامى — الى الانخفاض . وبذلك يستفيد كل أصحاب الدخول وخاصة أصحاب الدخول الصغيرة ، ومن ثم فان هذه الفئات تستفيد تلقائيا من التقدم الاقتصادى مما يحول دون نشوء صراعات على الاجور أو مطالبات باعانة غلاء .

ولكن السؤال هنا يتجه الى ما اذا كان سيتحقق فعلا انخفاض فى الأسعار ؟

ففى حالة ما اذا كان الاقتصاد خاضعا لاحتكارات فانه يشك فى هذه النتيجة ما لم يحس أصحاب الاعمال انه من الاسلم والاصلح أن تنعكس نتائج التقدم العلمى على مستوى الاسعار بالانخفاض وليس فقط أرباحا فى جيوبهم ، ويتوقف الأمر هنا على علاقة العمال برجال الاعمال وموقف ولى الأمر منهما .

أما فى حالة سياسة ثبات النقود فان التقدم العلمى والتكنولوجى سيعود بالنفع على أصحاب الدخول التى أصابها الارتفاع نتيجة لهذا التقدم .

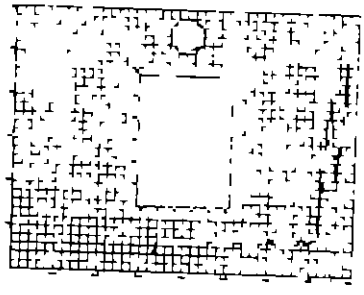

وقد يكون النزاع بين العمال وأصحاب الأعمال على نتائج هذا التقدم أمراً لا مفر منه مما يتبعه زيادة فى الاجور . وتظهر صعوبات خاصة تواجه المسئولين عن الاقتصاد وهذه الصعوبات ناشئة عن اختلاف معدلات النمو فى الكفاية الانتاجية تختلف فروع لانتاج ؛ ففى القطاع الزراعى لا تنمو الانتاجية نفس السرعة أو القدر الذى يحدث فى القطاع لصناعى ولو أنها أسرع فى القطاع الزراعى عنها فى طاع الخدمات .

فاذا ازدادت أجور عمال قطاع الصناعة نتيجة لزيادته الانتاجية بينما لم تزد أجور قطاع الخدمات فانه ينشأ عن ذلك تدافع من العاملين فى قطاع الخدمات الى قطاع الصناعة مما يؤدى الى ارتفاع أجور هذه الفئة الأمر الذى يحس معه عمال الصناعة بشىء من الغبن نظرا لارتفاع أسعار المعيشة ، ويؤدى ذلك الى الصراع بين العمال وبين أصحاب الأعمال .

وسائل تحقيق كل من سياسة حياد النقود وسياسة تثبيت قيمة النقود :

يمكن للدولة أن تتبع إحدى الوسيلتين الآتيتين لتثبيت قيمة النقود :

أ ــ زيادة كمية النقود أو تقليلها للمحافظة على الأسعار ، وذلك باتباع سياسة ائتمانية مرنة .

ب ــ التأثير على كمية النقود وكمية السلع فى آن واحد ، وذلك بأن تقوم الدولة بالاحتفاظ بالسلع فى مخازنها الخاصة وتستخدمها للتأثير بها فى السوق . أما تحقيق سياسة حياد النقود فاننا نعلم أن كمية النقود وسرعتها سيكونان أقل اذا كان هناك اكتناز ، ويزدادان عندما يكون هناك ائتمان مصطنع وتظل ثابتة اذا امكن منع الاكتناز ومنع الائتمان المصطنع . ويمكن تحقيق ذلك باتباع الوسائل الآتية :ــ

أ ــ منع الاكتناز حسب نظرية سلفيو جيزيل بواسطة النقود المتناقصة وذلك بلصق طابع بوحدة مالية صغيرة (مليم . درهم مثلا) على كل ورقة بنكنوت قيمتها جنيه وذلك كل أسبوع . ولما كانت السنة تشتمل على ٥٢ أسبوعا فان قيمة النقد تنقص جزئيا بمعدل ٥,٢٪ سنويا . وفى هذه الحالة يفضل الافراد انفاق النقود عن اكتنازها .

ب ــ منع الائتمان المصطنع بواسطة ما يسمى بخطة شيكاغو حيث تدعو هذه الخطة الى فصل أعمال البنوك الى قسمين : قسم للحسابات ويختص بأعمال التحويلات فقط أى التحويلات الخاصة بنقود حاضرة وقسم آخر لمنح الائتمان فى حدود المدخرات فقط .

هذا موجز للآراء العديدة المتفقة والمتضاربة التى تناولت النقود ودورها وأثرها .

وقد يأذن الله ذو الفضل العظيم أن نتناول فى المقال التالى العوامل التى تحول دون أداء النقود لوظائفها الأصلية .

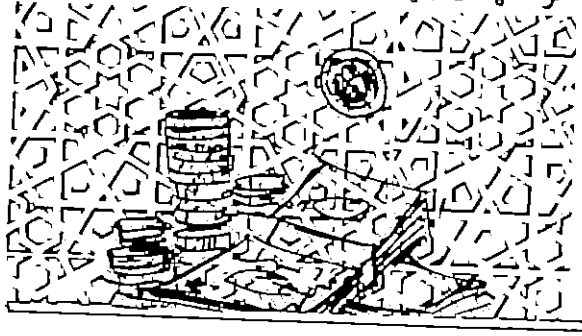

(١) نظرا لاختلاف طبيعة تغيرات الاسعار من سلعة لأخرى ، فمثلا أسعار الحديد الخام والقطن والمطاط تتعرض لتقلبات مفاجئة ، بينما تقل التقلبات التى تتعرض لها أسعار السلع تامة الصنع حيث أن بعض عناصر تكلفتها كاجور العمال ورسوم الانتاج أقرب الى الثبات ، وكذلك الحال فى تجارة الجملة فان أسعارها تخضع للاستقرار النسبى بالقياس الى أسعار التجزئة ، ونظرا كذلك لأثر الوقت على الاسعار – لذا ينبغى تجنب أى اتجاه يؤدى الى زيادة الكمية المعروضة من النقود تفاديا للآثار الخفية والتراكمية التى تنشأ . أما اختلاف الاسعار نتيجة قلة إحدى الطيبات أو زيادتها فلا يتعارض مع سياسة حيادا النقود .

البنوك القائمة

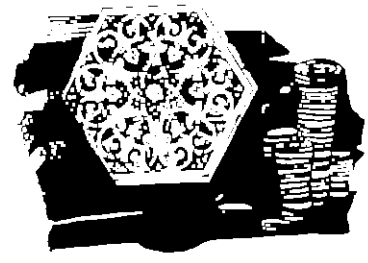

الدكتور محمد شوقي الفنجري
وكيل مجلس الدولة وأستاذ الاقتصاد
بجامعتي الأزهر والرياض

تمهيد :

ان جوهر كافة البنوك كمؤسسات لتجميع المدخرات والموارد ، هو جوهر واحد ، لا فرق فى ذلك بين بنوك اسلامية وبين بنوك لا اسلامية .

وينحصر الخلاف بين البنوك الاسلامية والبنوك اللااسلامية فى أمر واحد ، هو كيفية توجيه أو تشغيل هذه المدخرات والموارد . ومن هذا الفارق الوحيد تتشعب أوجه الخلاف المختلفة ..

١ – واقع البنوك اللااسلامية القائمة :

ان الدور الأساسى الذى تقوم به البنوك القائمة ، هو أنها تأخذ أموال غير المحتاجين والتى تتمثل لديها فى الودائع تحت الطلب أو الحسابات الجارية والتى تمثل المورد الغالب للبنوك ، فتقوم باقراضها للمحتاجين سواء لعرض استهلاكى أو استثمارى وذلك بفائدة ربوية تعود بأسوأ النتائج على الاقتصاد خاصة والمجتمع عامة .

ان الثابت واقعياً ، ان أغلب موجودات البنوك هى ودائع جارية تحت الطلب يضعها أصحابها لدى

مسئولية الحاكم المسلم !

البنوك بدون أية فائدة وذلك للسحب منها فى أى وقت عند الاحتياج وأن الثابت واقعياً أيضاً ، أن نسبة السحب من هذه الودائع محدودة ، بما يمكن البنوك بأن تحتفظ بنسبة سيولة نقدية لا تتجاوز بحال من الأحوال ٣٠٪ من الودائع تحت الطلب لديها ، لتقرض الباقى وهو نسبة ٧٠٪ منها بفوائد ربوية .

ومؤدى ذلك أن حقيقة البنوك القائمة أنها مجرد وسيط بين طرفين :

١ – طرف غير محتاج يأتمنها على أمواله دون أن تعطيه عادة أية فائدة .

٢ – وطرف محتاج تقرضه أموال غير المحتاجين وذلك بفائدة ربوية ترهقه وتستنفده .

فهى والحال كذلك وسيط مستغل لكلا الطرفين فهى تنتهز فرصة الودائع تحت الطلب التى لا فضل لها فيها ولا تعطى عنها فائدة ، فتستفيد منها لصالحها فقط دون أصحابها الحقيقيين ، وبصورة بشعة للمحتاجين من المقترضين . فهى بدلا من أن تكون وسيطاً نافعاً متعاوناً بين الذين لا يحتاجون من أصحاب الودائع الجارية والذين يحتاجون من طالبى القروض ، نجدها قد تحولت الى وسيط طفيلى مستغل بغير حق لكلا الفريقين .

ولقد آن الأوان للكشف للعالم أجمع عن وجهها القبيح المذكور ودورها المدمر للاقتصاد والمجتمع . وبالتالى العمل على ترشيد عملياته مستهدفين فى ذلك بالشرع الاسلامى الذى يقفل كلية باب الاقراض الربوى فيحرمه بتاتاً بالنسبة للجميع ويجرمه بأشد العقاب . ومن ثم لا يكون امام هذه البنوك ، الا أن تستثمر الأموال الفائضة لديها فى أوجه غير الاقراض الربوى ..

ومتى استبانت حقيقة البنوك اللااسلامية القائمة ، وأنها وسيط مستغل مدمر للاقتصاد الوطنى ، فإنها تصبح حينئذ مسئولية الحاكم فى كل بلد اسلامى بضرورة التدخل ، وذلك بتصحيح مسار هذه البنوك وترشيد عملياتها ، مستهدين فى ذلك بشرع الاسلام بقفل باب الاقراض الربوى أمامها ، بإصدار نظام أو قانون يحرم عليها الإقراض الربوى الذى أذن فيه الاسلام منذ أربعة قرناً بحربه من الله ورسوله وجرمه بأشد العقاب ..

وليس فى ذلك أى مساس بحقوق مكتسبة لهذه البنوك ، وإنما هو مجرد ترشيد لعملياتها . ذلك لأن هذه البنوك لا فضل لها فيما تحصل عليه من ودائع تحت الطلب والتى تمثل أغلب موجوداتها ولا تلتزم إزاءها بأى عائد ، بخلاف الودائع لأجل الاستثمارية .

ومن ثم فانه بتحريم الإقراض الربوى وتجريمه قانوناً ، لن يكون أمام البنوك القائمة ازاء المدخرات الفائضة لديها ، إلا استثمارها فى مشروعات تنمية حقيقية وذلك إما بمعرفتها وإما بالمشاركة مع آخرين ..

اننا لا نقول بمصادرة أو الغاء البنوك الربوية القائمة فى العالم الاسلامى ، ولكننا نطالب بتصحيح مسارها وترشيد عملياتها ، بحيث تصبح كما يجب أن تكون وسيطاً متعاوناً ونافعاً ، لا كما هو حاصل اليوم وسيطاً مستغلاً ومضراً . ازاء وضع شاذ سايرنا فيه بوعى أو بغير وعى ، الرأسمالية الاجنبية المستغلة . وهو الوضع الذى يمكن تصحيحه فوراً اعمالا لشرعنا الاسلامى ، ودون المساس بأية حقوق خاصة مشروعة وانما تحقيق مصالح خاصة وعامة مؤكدة ، مما سيكون خطوة اسلامية رائدة سيتابعنا فيها عن اقتناع وتقدير العالم أجمع ..

ماذا عن الاقراض ؟

وإذا كنا قد انتهينا الى تحريم الاقراض بفائدة كبرت أم صغرت لا فرق فى ذلك بين بنوك إسلامية وبين بنوك لا إسلامية . فليس معنى ذلك امتناع البنوك عن الاقراض ، وهى حاجة ضرورية لا غنى عنها للجميع سواء كان القرض لغرض استهلاكى أو استثمارى .

بل لا بد من الزام كافة البنوك قانوناً بتخصيص نسبة مئوية تزيد أو تنقص حسبما تمليه ظروف كل

مجتمع وبقدره ولى الأمر ، وذلك من حساب الودائع تحت الطلب لديها والتى ليس لها فيها أى حق مكتسب حيث لا تعطى عنها فائدة ولا يطلبها أصحابها ، فتصرف البنوك فى حدود هذه النسبة وبالشروط المقررة ، قروضاً حسنة أى بدون أية فائدة سوى مصاريفها الادارية ، يستوى فى ذلك ما إذا كان مقدار القرض كبيراً لغرض استثمارى أو صغيراً لغرض استهلاكى .

واننا بذلك لا نلقى على البنوك ، سواء أكانت إسلامية أم غير إسلامية ، بعبء جديد أو نكلفها بخدمات خيرية ليست من وظيفتها ذلك أن البنوك أياً كانت إسلامية أو غير اسلامية تحصل على الودائع الجارية أو تحت الطلب ، وهى التى تمثل موردها الأساسى وتبلغ ملايين الملايين ، دون أن تعطى لأصحابها غير المحتاجين ها أية فائدة ومن ثم فإنها بالمثل تلتزم بأن تعطى من هذه الودائع الجارية أو المدخرات الفائضة لديها للمحتاجين الى الاقتراض سواء لغرض استهلاكى أو استثمارى ، دون أن تتقاضى منهم أية فائدة سوى مصاريفها لخدمة وتحصيل الدين والتى لا تتجاوز بأى حال نسبة ١,٥٪ من قيمة القرض باعتبار حساب أيضاً تكاليف الضمان أو التأمين عليه .

هل بقفل باب الاقراض الربوى تصبح البنوك القائمة اسلامية ؟

الجواب بالنفى ، ذلك أنه حتى بعد ترشيد عمليات السوك القائمة بقفل باب الاقراض الربوى أمامها بقوة القانون ، وبالتالى تصحيح مسارها لتكون بنوكاً استثمارية لا تعمل إلا فى مجال الاستثمار ، سواء استقلت هذه البنوك بأوجه الاستثمار أو شاركت فيه الآخرين .

فإنه رغم ذلك ستظل هناك فوارق عديدة بين هذه البنوك وبين البنوك الإسلامية ذلك لأنه :

(ا) **ستظل البنوك اللااسلامية ، رغم تصحيح مسارها بقفل باب الاقراض الربوى لا تستهدف سوى الربح . بينما البنوك الاسلامية تستهدف فى الدرجة الأولى نفع المجتمع ثم الربح ثانيا .**

وعليه فانه إذا كان المجتمع يحتاج الى مصنع خمر لا يحقق سوى ربح بسيط ، فان البنك الاسلامى يلتزم بإقامة هذا المشروع . بينما البنك اللا سلامى حتى بعد ترشيد عملياته وتصحيح مساره ، سيظل يسعى الى المشروع الاستثمارى الذى يحقق له أكبر فائدة كإقامة مصنع عطور وإن لم يشبع سوى احتياجات أقلية مترفة .

ومؤدى ذلك أن البنك الإسلامى حتى فى نشاطه المشروع ، ليس حراً فى ذلك شأن البنك اللااسلامى ، وإنما هو بحكم الشرع الإسلامى ملتزم بإعطاء الأولوية للمشاريع الضرورية التى يتطلبها المجتمع ، وإن لم تحقق له سوى عائد محدود . ومن هنا يتبين بجلاء دور البنك الإسلامى فى مجال التنمية الاقتصادية .

(ب) **أنه حتى لو وجدت بين البنوك القائمة ، بعد تصحيح مسارها بقفل باب الاقراض الربوى ، من يقصر نشاطه على مشاريع التنمية الاقتصادية التى يحتاجها المجتمع كمشاريع الاسكان والصناعات الغذائية والملابس .. الخ ..**

فإنه رغم ذلك يظل الفارق قائماً بين البنك الإسلامى وبين البنك اللااسلامى .

ذلك أن البنك الإسلامى بحكم الشرع ، يلتزم سنوياً بالاضافة الى التزاماته الضريبية ، بتخصيص نسبة ٢,٥٪ من رأسماله المستثمر أو ٥٪ من صافى أرباحه ، باسم الزكاة بحيث لا تصرف هذه النسبة المحددة سلفاً إلا للمحتاجين فى الحى أو المنطقة التى يوجد بها مقر البنك ، سواء فى صورة إعانة نقدية لهولاء المحتاجين أو فى صورة خدمات عينية تقدم لهم بحسب ما يكون مناسباً ومحققاً للغرض .

ومن ذلك يتبين الدور الاضافى والالزامى فى نفس الوقت ، والذى يؤديه البنك الإسلامى فى مجال التنمية الاجتماعية والضمان الاجتماعى ، مما ينفرد به ويميزه عن سائر البنوك اللااسلامية ، وذلك حتى بعد العمل على ترشيد عملياتها وتصحيح مسارها ..

(جـ) **وفوق كل ما تقدم ، ورغم تصحيح مسار البنوك القائمة بقفل باب الاقراض الربوى أمامها ، فإنه سيظل للبنوك الاسلامية ولكافة العاملين بها بل وجميع المتعاملين معهـــا وضع خاص Sui Generis متميـــز Distingue وهو تلك الصفة التعبدية أو**

الروحية التى تتسم بها جميع المعاملات مع البنوك الاسلامية .

ذلك أنه فى مجال النشاط المصرفى الاسلامى ، يلتزم الجميع بحدود وأوامر الله تعالى ، مبتغياً بنشاطه وجهه سبحانه ورضاه ، أى الاستقامة والعدل لا الاستغلال ولا مجرد الربح ، الأمر الذى يشيع بين جميع اطراف التعامل الرضا وسلامة التصرف باخلاص النوايا ، وفى المحصلة يشيع السعادة والسلام فى المجتمع سواء على المستوى المحلى أو العالمى ..

ما المطلـوب ؟

بقى أن نؤكد أنه لا صلاح ولا أخلاق .. ولا أمن ولا تنمية حقيقية .. مع قيام نظام الاقراض بفائدة فى أى مجتمع ، مسلماً كان هذا المجتمع أو غير مسلم .

لذلك فاننا نطالب الحاكم أو المشرع فى كل دولة فى العالم ، مسلماً كان أو غير مسلم ، بأن يبادر بتصحيح مسار البنوك القائمة وترشيد عملياتها وذلك بما يأتى :

اولا : **بقفل باب الاقراض الربوى أمامه بقوة القانون** ، مما سيؤدى حتماً بهذه البنوك الى سلوك طريق آخر غير هذا الطريق السهل عليها ، المدمر للمجتمع ، وذلك باستثمار أموال المدخرين لديها فى أوجه أخرى مشروعة مما يؤدى الى زيادة الانتاج والى التنمية الحقيقية .

ثانيا : **بتخصيص نسبة معينة من السيولة النقدية المتوافرة لديها** ،وذلك للاقراض بدون أية فائدة سوى تكاليفها لخدمة وتحصيل الدين ، لا فرق فى ذلك بين قرض استهلاكى أو استثمارى . الأمر الذى سيشيع من ناحية روح التكافل بين أفراد المجتمع ، ومن ناحية أخرى ييسر للمستثمرين الحصول على ما يحتاجونه من أموال دون أعباء أو فائدة ربوية ، فلا يحملونها انتاجهم وتنخفض بذلك أسعار المنتجات وتتوافر السلع ويتلاشى التضخم .. الخ من المصالح والمنافع التى استهدفها المشرع الاسلامى منذ أربعة عشر قرناً حين أذن بحرب من الله ورسوله على كل من يقرض بفائدة وجعله من أكبر الكبائر وجزاء من يمارسه جهنم معذباً فيها أبداً ..

ألا هل بلغت ... اللهم فاشهد

دواء وداء ..!

كان لعبد الله بن الزبير أرض قريبة لأرض معاوية فيها عبيد يعمرونها فدخلوا فى أرض عبد الله فكتب إلى معـــاوية :

« **أما بعد فإنه يا معاوية إن لم تمنع عبيدك من الدخول فى أرضى ، وإلا كان لىّ ولك شأن** » .

فلما وقف معاوية على الكتاب **دفعه إلى ابنه** « **يزيد** » فلما قرأه قال : **ما ترى ؟**

قال : **أرى أن تنفذ إليه جيشا أوله عنده وآخره عندك يأتوك برأســـه** .

فقال معاوية : **يا بنى عندى خير من ذلك ، علّى بدواة وقرطاس** وكتب إلى عبد الله بن الزبير يقول :

« **وقفت على كتابك يا ابن حوارى رسول الله ﷺ ، وساءنى والله ما ساءك ، والدنيا هينة عندى فى جنب رضاك ، ولنضف الأرض إلى أرضك ، والعبيد إلى عبادك ، والســـلام** » .

فلما وقف عبد الله على كتاب معاوية ، كتب إليه :

« **وقفت على كتاب أمير المؤمنين ــ أطال الله بقاءك ، فلا عدم الرأى الذى أحله من قريش هذا المحل والسلام** » .

فلما وقف « **معاوية** » على كتاب « **عبد الله** » رماه إلى ابنه « **يزيد** » فلما قرأه بُهت ، فقال معـــاويـة :

ــ **يا بنى ... إذا رُميت بهذا الداء ، فداوه بهذا الدواء** .

معالم

الحـ
فـ
الناحـ

□□ يتوهم الكثيرون أن الدين لا يعنى بالاقتصاد ، فهما ضدان لا يلتقيان .فالاقتصاد يعنى بالجانب المادى فى الحياة ، والدين يعنى بجانبها الروحى . الاقتصاد استغراق فى المادة ، والدين استعلاء عليها .

بيد أن هذا إن صح فى أديان أخرى لا يصح فى الاسلام ، فقد اعتبر القرآن المال قواماً للحياة حين قال « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما » كما اعتبر الغنى نعمة يمتن الله بها « ووجدك عائلا فأغنى » ومثوبة يجزى بها المؤمنين من عباده « ويمددكم بأموال وبنين » . ولم يغلق الرسول — ﷺ ملكوت السماء فى وجه الغنى كما رووا عن المسيح عليه السلام ، بل قال « نعم المال الصالح للرجل الصالح » .

وأشار القرآن والسنة الى أهمية المؤثرات الاقتصادية فى السلوك البشرى ، فى مثل قوله تعالى « ولا تقتلوا اولادكم من إملاق » « ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق » وفى مثل قوله — ﷺ — « إن الرجل إذا غرم حدث فكذب ، ووعد فأخلف» .

وكان أحد الأركان الخمسة فى الاسلام عبادة مالية هى « الزكاة » . وأحد الموبقات السبعة كبيرة مالية هى « الربا » .

الإسلامى
والاقتصادية

د . يوسف القرضاوى

رغب الاسلام فى الصناعة والاحتراف ، وضرب لنا القرآن مثلا بعدد من الأنبياء والصالحين من أهل الحرف ، فنوح نجار يصنع السفن ، وإبراهيم وإسماعيل بناءان يرفعان قواعد البيت ، وداود حداد يصنع الدروع السابغات ، وذو القرنين بانى السد العظيم من زبر الحديد والنحاس المذاب .

ودعا كذلك إلى الزراعة والغرس والتشجير ،بشرط ألا يكتفوا بالزرع ، ويتبعوا أذناب البقر ، ويتركوا الجهاد .

وحث كذلك على التجارة . ونوه بالتاجر الصدوق الأمين ، ونهى عن الغش والاحتكار ، والتلاعب بالاسعار .

وأقام الاسلام نظامه الاقتصادى على إقرار الملكية الفردية ، لما فيها من إشباع الدافع الفطرى فى نفس الانسان ، ولما تثمره من الشعور بالسيادة والقدرة ، فمن شأن السيد الحر أن يملك ويتصرف . أما العبد فلا يملك ولا يتصرف .

ولكنه وضع للملكية أسبابا لاكتسابها وقيوداً لتنميتها ، وحقوقاً دورية وغير دورية عليها .

وقبل ذلك كله اعتبر المالك الحقيقى للمال هو الله تعالى ، والناس أمناء عليه ، أو وكلاء فيه ، وبتعبير القرآن « مستخلفين فيه » .

ومن هنا كانت عناية الحل الاسلامى بالناحية الاقتصادية .

وابرز ما يراعى فيها الأمور الآتية :

١ ــ إتاحة العمل الملائم لكل مواطن قادر باعتبار العمل حقا له وواجبا عليه ــ وتهيئة التدريب الكافى لكل ذى مهنة . لتحسين مستوى كفايته الفنية ، وبذلك يستطيع كل قادر على العمل أن يكفى نفسه بنفسه . وتحريم الصدقات والمعونات الاجتماعية تحريما باتا على كل متعطل عن العمل الملائم له باختياره . اهتداء بما جاء عن النبى ــ ﷺ ــ فى قوله : **« لا تحل الصدقة لغنى ، ولا لذى مرة سوى »** .

٢ ــ إعطاء الاجر العادل لكل عامل بما يكافىء عمله . ويغطى حاجته بالمعروف ، فالنبى ــ ﷺ ــ أعطى فى الغنائم الراجل سهما . والفارس سهمين أو ثلاثة أسهم لأن كفاية الفارس فى الحرب فوق كفاية الراجل .. ثم إنه فى الفىء أعطى العزب حظا والاهل – المتزوج – حظين ، لأن حاجة الآهل أكثر من حاجة العزب (ويقاس على الآهل صاحب العيال) وبهذا وذاك يكون النبى ــ ﷺ ــ قد اعتبر العمل والكفاية ، كما اعتبر الحاجة أيضا . ولهذا قال عمر فى شأن مال الفىء : **والله ما أحد إلا وله فى هذا المال حق . فالرجل وبلاؤه . والرجل وقدمه ، والرجل وحاجته .**

وبهذا يكون الاسلام قد خالف النظرية الشيوعية التى تعطى كلا حسب حاجته فقط ، والنظرية الاشتراكية التى تعطى كلا حسب عمله فقط .

٣ ــ جباية الزكاة من كل الأموال : ظاهرة (الثروة الحيوانية والزراعية وزكاة الفطر) وباطنة (أموال التجارة والنقود) بوساطة جهاز قوى أمين من « العاملين عليها » كما سماهم القرآن الكريم ، مع وجوب توسيع قاعدتها بحيث يشمل كل مال نام ، وكل دخل فاضل عن الحوائج الأصلية ، وتوزيعها على المصارف الثمانية ، أو السبعة ــ بعد إلغاء الرق فى عصرنا ــ عملاً بتوجيه القرآن « **خذ من أموالهم صدقة** » وبقول الرسول « **تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم** » وسنته العملية وسنة خلفائه الراشدين فى بعث السعاة

■ معالم الحل الإسلامى فى الناحية الاقتصادية

والعاملين إلى مختلف البلدان والقبائل لجمعها وتفريقها — كما أمر الله رسوله —

وبذلك تسهم هذه الفريضة فى تمويل التكافل ، وتحقيق العدل الاجتماعى ، ومحاربة الكنز ، ومقاومة الاستقراض بالربا ، وانتشال المدينين من ذل الدين ، كما تسهم فى تنشيط الدعوة إلى الاسلام ، بما يصرف عليها من سهمى « المؤلفة قلوبهم » و « فى سبيل الله » .

٤ — كفالة المعيشة الكريمة ، التى تتوافر فيها « الحاجات الاصلية » — حسب تعبير فقهائنا — ، لكل مواطن عجز عن العمل . عجزا أصليا أو طارئا ، عقليا أو جسميا . أو كان قادرا عليه ولكنه لم يجد عملا . ولم تستطع الدولة أن تهيىء له سبيل العمل المناسب لمثله .. أو وجد عملا ولكن كان دخله منه لا يكفيه ، لكثرة أعبائه العائلية ، أو لظروف عارضة زادت فى معدل نفقاته ، كمرض ألم به ، أو بأحد من أسرته ، أو لغلاء الأسعار أو نحو ذلك .

فمن واجب الدولة المسلمة أن توفر لكل إنسان يعيش فى كنفها — مسلما أو غير مسلم — الغذاء الصحى اللازم ، والملبس الواقى للجسم فى حالتى الحر والبرد ، والمسكن الذى يكن صاحبه ويستره ويشعره باستقلاله عن غيره ، والعلاج الذى ينيل عنه آلام المرض وييسر له الشفاء وفقا لسنن الله تعالى .. والتعليم المجانى الذى يخرجه من ظلمة الأمية والجهالة إلى نور المعرفة والثقافة ، وتتيح للذوى المواهب أن يبلغوا أقصى درجات التعلم المستطاع للبشر ، وأن يسدوا كل الثغرات التى تحتاج إليها الأمة فى مختلف النواحى والتى عدها العلماء من فروض الكفاية ..

ومن حق كل مواطن فى دولة الاسلام أن يطالبها بهذه الحاجات الأساسية إذا قصرت فى توفيرها لمستحقيها ، فإن النبى — ﷺ — قال : **« الامام راع وهو مسئول عن رعيته ، والرجل راع فى أهل بيته وهو مسئول عن رعيته[1] »** فجعل مسئولية الامام — رئيس الدولة — عن الأمة كمسئولية رب البيت عن الأسرة . وهذا ما بدأ النبى — ﷺ — بتطبيقه بوصفه إمام المسلمين فى عهده ، وذلك حين قال **« أنا أولى بكل مسلم من نفسه ، من ترك مالا فلورثته ، ومن ترك دينا أو ضياعا (يعنى أولادا صغارا ضائعين لعدم ما يكفيهم ومن يكفيهم) فإلى وعلى[2] »** .

ولهذا كان — ﷺ — يقضى من بيت المال ديون من مات ولم يترك وفاء .

وجاء عمر من بعد — وقد اتسعت ثروة الدولة الاسلامية — فبلغ بالتكافل مبلغا لم تحلم به الانسانية من قبل ، ففرض عطاء لكل مولود فى الاسلام ، وأمر بإجراء معاش أو راتب لكل عاجز عن العمل من أهل الذمة من اليهود والنصارى .

٥ — مصادرة كل مال حصل عليه حائزه بطريق من طرق الحرام وأكل أموال الناس بالباطل كالغصب أو الاختلاس أو الرشوة أو استغلال النفوذ ونحوها — سواء كان هذا المال عقارا أم منقولا ، بشرط أن يثبت ذلك بتحقيق نزيه ، وأن يفصل بين قضاء عادل . وما ينتج عن هذه المصادرة المشروعة يوضع فى المصالح العامة ، أو فى مصالح الفئات الضعيفة خاصة .

٦ — أن يخضع موظفو الدولة — وبخاصة الكبار منهم — لقانون « من أين لك هذا ؟ ! » بحيث

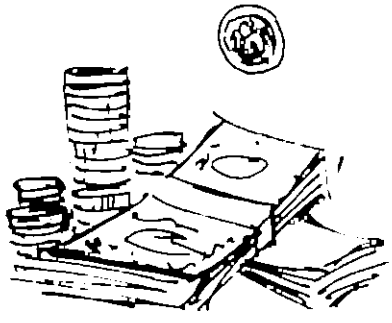

□ النظام الاقتصادي في الإسلام يقر الملكية الفردية بما فيها من إشباع الدافع الفطري في نفس الإنسان وبما تثمره من الشعور بالسيادة والقدرة .

يعاقبون على كل كسب غير مشروع ، بمصادرته كله أو بعضه بحسب قوة الشبهة في الملك أو ضعفها ، اقتداء بما بدأ به النبي ﷺ — من محاسبة ابن اللتبية ، وما سار عليه عمر من بعده في محاسبة ولاته ومشاطرتهم أحياناً نصف ما كسبوا أثناء ولايتهم .

٧ — محاربة السرف والترف في المجتمع بالتشريع والتوجيه ،توفيرا للطاقات المادية والبشرية التي تذهب هدرا من جراء التسابق المجنون في اقتناء الكماليات بل المحرمات ، وحفاظاً على المجتمع من التفسخ والانحلال الذي ينذر به الترف كل من غرق فيه ، ووقاية للامة من الحقد الطبقي والانقسام إلى أكثرية كادحة شبه محرومة من الحاجات الأساسية للحياة ، وأقلية متنعمة مترهلة تسمن على هزال غيرها .

٨ — تقريب الفوارق في الاقتصاد بين الأفراد والفئات ، بالعمل الدائب على الحد من طغيان الأغنياء ، والرفع من مستوى الفقراء ، وتصفية الامتيازات التي توارثها بعض الناس بغير حق ، وإزالة المظالم التي يرزح تحت نيرها آخرون بالباطل ، وتضييق الفروق — ما أمكن ذلك — بين أعلى الرواتب وأدناها ، بحيث يختفي منظر الثراء الفاحش ، الى جانب الفقر المدقع .

٩ — ومن ذلك تقريب الفوارق بين القرية والمدينة بحيث لا تستحوذ المدينة وسكانها على جل اهتمام الدولة وجل خدماتها . وتترك القرية في زوايا النسيان أو الاهمال . فلابد من مزيد من الاهتمام بالقرية ورفع مستواها صحيا واقتصاديا وعمرانيا واجتماعيا وثقافيا . فلولا القرية ما أكلت المدينة .

١٠ — تطهير كل المؤسسات الاقتصادية من رجس الربا .ومن كل معاملة تخالف شريعة الاسلام . وإنشاء مصارف « بنوك » إسلامية تتعامل على غير أساس الربا ، وإلغاء كل البنوك التي لا تخضع لهذا الاتجاه ، وبذلك تحرر الأمة من نجاسة الخبث ، ومن شر آثار الرأسمالية . ومن أخطبوط اليهودية العالمية المتصرفة في ذهب العالم وبنوك الدنيا ، ولا تأذن الأمة بحرب من الله ورسوله .

وفيما كتبه أساتذة الاقتصاد الاسلاميون في مصر وباكستان وغيرها(٣) مجال رحب لمن يريد تحويل النظريات إلى واقع عملي ، وإذا صدق العزم وضح السبيل .

١١ — وضع خطة على أساس علمي وإحصائي — لزيادة ثروة الأمة وتنمية إنتاجها كما ونوعا . والاستفادة من التكامل الاقتصادي بين البلدان الاسلامية للعمل على تحقيق الاكتفاء الذاتي فيما بينها ، واتخاذ الوسائل الفعالة مادية ومعنوية ، لدفع عجلة التنمية ، وتنظيف المجتمع من كل الآفات النفسية والأخلاقية والثقافية والاجتماعية التي تعطل طاقات الشعب . وتحطم منجزاته . وتعوق مسيرته نحو التقدم .

---

(١) متفق عليه من حديث ابن عمر .

(٢) متفق عليه واللفظ لمسلم .

(٣) تراجع في ذلك كتابات الأستاذ عيسى عبده والدكتور أحمد النجار تحت عنوان « بنوك بلا فوائد » وبحث الدكتور محمد عزيز « عوامل النجاح في البنوك اللاربوية » وبحث المرحوم الدكتور محمد عبد الله العربي عن الاقتصاد الاسلامي في كتاب « المؤتمر الأول لمجمع البحوث الاسلامية » بالازهر وكتاب « البنك اللاربوي في الاسلام » للأستاذ محمد باقر الصدر وكتاب . « بعض النواحي الاقتصادية في الاسلام » الذي أصدرته أمانة المؤتمر الاسلامي في كراتشي . وهو يشمل على عدة بحوث أخرى للشيخ محمد أبو زهرة ، والسيد أبي الأعلى المودودي ، والأستاذ محمود أبو السعود وغيرهم .

منهج النظم
في إدارة الموارد البشرية
في البنوك الإسلامية

د. سيد الهواري

المنهج التقليدى فى إدارة الأفراد :

إن المنهج الشائع فى إدارة الأفراد حاليا . هو منهج تقليدى :

بمعنى أنه مجموعة من العمليات ، لا توجد علاقة صريحة وواضحة بين بعضها البعض ، كما لا يوجد علاقة بينهما ككل ، وبين أهداف البنك أو المنظمة ككل .. هذه العمليات قد تشمل : الاختيار والتعيين والتدريب والأجور وساعات العمل والتأخير والغياب والمكافآت والجزاء ... الخ . ولكن الصفة المميزة لهذا المنهج ، أنه لا توجد علاقة واضحة وصريحة بين كل عملية من هذه العمليات بعضها البعض . كما لا توجد علاقة واضحة وصريحة بين كل هذه العمليات ككل ، وبين أهداف البنك أو المنظمة ككل ..

إن المشكلة ليست فى غياب أو وجود بعض العمليات فقط ، ولكن أساس المشكلة ، يوجد فى عدم ربط العمليات الفرعية ببعضها بشكل واضح وصريح من ناحية ، وعدم ربط العمليات ككل بأهداف البنك بشكل واضح وصريح من ناحية أخرى . وعلى ذلك لا يمكن معرفة فعّالية كل عملية ودرجة الحاجة إليها ؛ لأنها غير مرتبطة بنتائج محددة واضحة وصريحة .

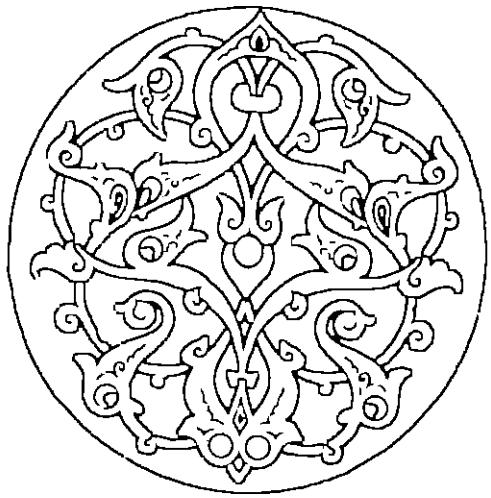

خذ مثلا هذه العمليات التقليدية :**الاختيار والتعيين والأجور والمزايا العينية والشكاوى ، وضبط الحضور والغياب والمكافآت والجزاءات ..** إنها تتم عادة بمعزل عن بعضها ، ودون معرفة صريحة بين علاقة كل منها ، ودون معرفة صريحة بين علاقاتها ككل ، وأهداف البنك أو المنظمة ككل ..

ففى ظل المنهج التقليدى لإدارة الأفراد ، يتم اختيار الموظفين ، بناء على طلب الإدارة العليا ، أو الإدارات المختصة الأخرى — دون معرفة صريحة وواضحة ، بأهداف البنك واحتياجاته فى الأجل الطويل .. دون معرفة صريحة وواضحة باحتياجات الهيكل التنظيمى فى الأجل الطويل .. دون معرفة صريحة وواضحة بعلاقات التعيين الجديدة بالمناخ التنظيمى ومتطلباته ..

وفى ظل المنهج التقليدى لإدارة الأفراد ، يتم تدريب الموظفين ، بناء على رغبة الموظف فى الذهاب إلى برنامج تدريبى ،أو بناء على رغبة الإدارة العليا ، فى إرسال موظف إلى برنامج تدريبى ، كحافز أو مكافأة عن عمل جيد دون أن يكون ذلك مرتبطا تمام الارتباط باحتياجات تدريبية واضحة ومحددة .. مرتبطة بتقييم نتائج مثلا .. مرتبطة باحتياجات مستقبلية طويلة الأجل .. دون معرفة صريحة وواضحة بنتائج التدريب ، من حيث تحقيق رضا الموظف وكفاءته وفعّاليته ، وكفاءة المنظمة وفعّاليتها .

وفى ظل المنهج التقليدى ، يتم تحديد الأجور بناء على مستوى الأسعار وظروف المنافسة ، دون دراسة حقيقية لمسئوليات الوظيفة ومتطلباتها الموضوعية ، ودون ربط باحتياجات المنظمة فى الأجل الطويل والظروف البيئية المميزة .. وحتى هذه الأجور قد تتم بمعزل عن المزايا العينية الأخرى.. وحيث توجد مفارقات بين وظائف تحمل نفس درجة المسئولية .. وهو ما يؤدى إلى خلل فى هيكل الوظائف . فتقييم الأجور يتم على أساس الحب والكراهية لشخص بالذات ، دون معرفة موضوعية بمتطلبات الوظيفة .

وفى ظل المنهج التقليدى ، يتم تقويم أداء الموظف ، بمعزل عن المناخ التنظيمى السائد ، وبمعزل عن الاحتياجات التطويرية الكلية ، وبمعزل عن نمط القيادة الإدارية المسيطر على المنظمة .. وبمعزل عن طريقة الإدارة المتبعة ، وبمعزل عن نظام الأجور أو الدوافع .. الخ .

وفى ظل المنهج التقليدى يتم تحقيق انضباط الأفراد بالعصا ، حيث نظم الحضور تفترض أن الإنسان كسول بطبعه ، يجب مراقبته جيداً .. والإنسان العادى شخص شبه لص ، يجب وضع نظم رقابة صارمة .. ويتم تطبيق هذا النظام بكل قوة ، دون إعادة نظر للافتراضات المسيطرة على رجال الإدارة العليا والإدارة الوسطى ذاتها ..

وفى ظل المنهج التقليدى ، ينظر إلى التدريب على أنه شىء يقتصر على الموظفين فقط . أما المديرون فهم لا يحتاجون إلى زيادة لمهاراتهم الحالية ، أو زيادة قدراتهم المستقبلية . كما أن المديرين الكبار ورجال الإدارة العليا لا يخضعون إلى التقويم .. فتقويم الأداء شىء يقتصر على الموظفين التنفيذيين .. حتى فى الاختيار : فإن الاختبارات تستخدم فقط ، لاختيار الموظفين التنفيذيين ، ولكنها لا تصلح لاختيار القادة الكبار .

وفى ظل المنهج التقليدى : ليس هناك علاقة واضحة وصريحة بين تقويم الأداء والجزاء ثوابا أو عقابا ، وليس هناك رد فعل لتقييم الأداء على أهداف البنك ككل .. ليس هناك رد فعل على تخطيط الاحتياجات للمستقبل ، أو تخطيط إدارة الأفراد ككل .

وفى ظل المنهج التقليدى : لا تعبر أهداف إدارة الأفراد أهدافا صريحة ومحددة ، كجزء من الأهداف الصريحة والمحددة لإدارة البنك ككل . فإدارة البنك تهتم فقط بالأرباح وبالعائد على الاستثمارات ، الإنتاجية ، وبحجم الاستثمارات والتوسعات وعدد الحسابات الجديدة ، وعدد الفروع

الجديدة .. ولكن أهداف الأفراد مثل تحقيق رضا الموظفين كنتائج قابلة للقياس ، مسألة جانبية هامشية ، أو أشياء مفترضة على أحسن تقدير ... ففى ظل المنهج التقليدى فإن الاهتمام بالفرد ربما يكون شيئا ضمنيا مفترضا ، ولكن ليس شيئا صريحا ومحدداً ..

وفى ظل المنهج التقليدى : **لا يوجد نظام معلومات كامل عن الأفراد** ، يفيد فى اتخاذ القرارات المناسبة . بل يقتصر على البيانات التقليدية ؛ مثل السن والشهادات ومكان السكن ، ولكن لا يحوى بيانات مثل نقط القوة والضعف ، واحتياجات التدريب قصير الأجل وطويل الأجل .. لا يحوى خطا واضحا للتطور الوظيفى .. ولا يحوى الجوائز أو المكافآت التى يحصل عليها الموظف ، بل يحوى فقط سجل الجزاءات (السلبية) والبيانات نفسها غير مصنفة ، ولا يمكن استرجاعها بسهولة . وهى فى جملتها لا تفيد كثيرا فى إدارة الموارد البشرية أو فى البنك ككل .

وفى ظل المنهج التقليدى **لا يوجد نظام مدروس لتحليل النتائج لمعرفة أسباب الخلل** . كما أنه لا يوجد نظام فعّال يتم بموجبه وضع برنامج للتصحيح ، سواء على مستوى الفرد أو على المستوى الكلى ...

وفى ظل المنهج التقليدى : **لا تعتبر الضوابط الإسلامية ضوابط حاكمة فى وضع أهداف البنك** ، ودوافع الأفراد . حيث ينظر إلى الدين أنه عملية عبادة ، أو عملية عبادة ومعاملات ، ولا تترجم بشكل واضح وصريح فى أهداف البنك ودوافع الأفراد .

وباختصار فإنه فى ظل المنهج التقليدى فإن الأمر لا يقتصر على عدم وجود ربط واضح وصريح ، بين مختلف عمليات إدارة الأفراد ، بل إن هذا القصور ينتقل إلى عدم وجود ربط واضح وصريح بين عملية إدارة الأفراد ككل ، وبين عملية الإدارة ذاتها ..

منهج النظم المقترح لإدارة الموارد البشرية فى البنوك الإسلامية :

فتحت البحوث فى العلوم السلوكية فرصا جديدة لتحسين فعّالية المنظمات ، سواء من حيث زيادة الإنتاجية وتحقيق النمو ، أو زيادة الأفراد وإيجابيتهم ، وقد أصبح واضحا تماما أن الإدارة الفعّالة للموارد البشرية ، تزيد من نجاح المنظمات . وقد أدى ذلك إلى أن المديرين فى كل مكان فى العالم ، يسعون إلى إعادة تحديد أهداف منظماتهم ، ودور إدارة الموارد البشرية فيها ..

وفى كل هذه التغييرات فإنه يمكن ملاحظة خط فكرى واحد : ألا وهو الحاجة إلى نظام متكامل ، يركز على العلاقة المباشرة بين أهداف المنظمة ككل ، وبين النظم الفرعية لإدارة الموارد البشرية . إن وجهة النظر هذه ستجعل من السهل تقويم كل عملية فرعية ، من عمليات إدارة الموارد البشرية ، ومعرفة مدى تكاملها واتساقها مع العمليات الفرعية الأخرى .. بل أكثر من ذلك فإنه ، من الممكن معرفة العلاقة بين إدارة الموارد البشرية ككل ، وبين أهداف المنظمات ككل(١) ..

لما كانت الإدارة أساسا : هى إدارة الموارد البشرية ، ولما كان من الضرورى زيادة الاهتمام بإدارة الموارد البشرية فى البنوك الإسلامية بطريقة فعّالة ، ولما كان المنهج التقليدى لإدارة الأفراد غير ملائم ، فإن الأمر يتطلب وضع نظام متكامل لإدارة الموارد البشرية فى البنوك الإسلامية يأخذ فى الاعتبار الضوابط الإسلامية ، باعتبارها ضوابط حاكمة . كما يأخذ فى الاعتبار المتغيرات البيئية التى تميز كل مجتمع إسلامى عن غيره ، وتضع قيوداً على الإدارة ، وربط ذلك كله بأهداف البنك التى يجب أن تحوى بشكل صريح وواضح أهداف الأفراد بناء على معرفة دوافعهم وفى ظل نموذج إسلامى للدافعية .

ولما كان **النظام هو مجموعة من الأجزاء المترابطة** ببعضها ، والتى تؤثر وتتأثر ببعضها ، فإن الأمر يتطلب عند وضع نظام لإدارة الموارد البشرية ، أن توضح أجزاء هذا النظام ، ويتم دراسة العلاقة بين تلك الأجزاء .. ويتم دراسة أسس الربط واجراءاته كما يتم دراسة كيفية التفاعل بين الأجزاء ... ولما كان

البنك الإسلامى لايمكن أن يكون كذلك بمجرد استخدام اللفظ ، ولكن من خلال الإلتزام بالشريعة الإسلامية

النظام أساسا يحوى مجموعة من العناصر الداخلة . ومجموعة من النتائج ، فإنه من الضرورى ربط العناصر الداخلية[٢] بمراحل عملية إدارة الموارد البشرية بالنتائج .

والشكل رقم (١-١) يوضح النظام المقترح لإدارة الموارد البشرية فى البنوك الإسلامية . وهذا الشكل يوضح الإطار الفكرى لإدارة الموارد البشرية فى البنوك الإسلامية بمنهج النظم .

إننا ننظر إلى إدارة الموارد البشرية على أنها نظام له عناصر داخلة :

تتكون من ضوابط إسلامية ، على اعتبار أن البنك إسلامى لا يمكن أن يكون كذلك بمجرد استخدام اللفظ ، ولكن من خلال الالتزام بالشريعة الإسلامية ابتداءً . وتتكون العناصر الداخلة أيضا من المتغيرات البيئية ، التى تميز المجتمع الذى يعيش فيه وتؤثر عليه وتتأثر به . سواء كانت تلك المتغيرات اقتصادية أو تعليمية أو اجتماعية (اجتماعية — نفسية) أو سياسية وقانونية .. كما تتكون العناصر الداخلة فى النظام أيضا ، من الموارد المادية التى تتمثل فى الموارد الطبيعية والموارد المالية الموضوعة تحت تصرف البنك أو التى يستطيع الحصول عليها ..

كل هذه العناصر الداخلة تترجم فى عنصر واحد هو أهداف البنك التى يجب أن تحوى تفهما كاملا لدوافع الأفراد من منظور إسلامى . بحيث تكون أهداف الأفراد جزءا واضحا وصريحا ولا يتجزأ من أهداف البنك الإسلامى ككل .. بمعنى ألا تكون أهداف الأفراد شيئا تابعا أو شيئا مفترضا أو ضمنيا . معنى ذلك أن الضوابط الإسلامية والظروف البيئية والموارد الطبيعية والمالية تدخل فى مرحلة التخطيط للبنك والتى تظهر فى شكل أهداف محددة واضحة قابلة للقياس . ويمكن النظر إلى هذه الأهداف على أنها أهداف سنوية مثلا أو أى فترة زمنية أخرى .

وبناء على أهداف البنك ككل ، فإن خطط الموارد البشرية تتم وتصبح عملية تخطيط الموارد البشرية :

هى العملية الأولى فى النظام .. وفى ضوء نظام المعلومات عن الموارد البشرية العاملة فى البنك ، يبدأ نظام انتقاء الأفراد .. ونظام انتقاء الأفراد نظام فرعى من النظام الكلى لإدارة الموارد البشرية . وفيه تتم عمليات الاستقطاب (جذب الأفراد) وعمليات انتقاء الأفراد فى ضوء الاختبارات التى تتقرر من خلال المقتضيات المهنية .. ونظام الانتقاء فى البنوك الإسلامية يتصدى لقضايا هامة : مثل قضية تشغيل المرأة ، وتشغيل غير المسلم ، وتشغيل الجنسيات المختلفة ، كما يتصدى لقضية اختيار القيادات الإدارية ..

ولا تنتهى عملية توزيع الأفراد الذين تقرر تعيينهم على الوظائف المختلفة إلا بعد التهيئة المبدئية .. وتشمل برنامجا تعريفيا عاما بالايدلوجية المصرفية الاسلامية ، كما تشمل عملية تكييف الموظف لوظيفته الجديدة ، وجعله « يشعر أنه فى بيته » طبقا للتغيير السائد ، وهى العملية التى يطلق عليها أحيانا « تنصيب الموظف » أى عملية إدخاله إلى منصبه باعتبارها عملية ضرورية وحاكمة . لأن هذه الفترات الأولى حاكمة بالنسبة لانطباعات الموظف الجديد عن عمله وعن البنك .

إن النظم الفرعية المرتبطة لتكييف الظروف الداخلية للعمل ، هى نظم الأجور ، ونظم الاتصالات وعلاقات العمل ونظم التطوير التنظيمى . وطبقا لمفهوم نظام إدارة الموارد البشرية فانه لا يتم تعديل أى من هذه النظم الفرعية . إلا بعد التأكد من أن هذا التعديل متسق مع النظم الأخرى ، ولا يتعارض معها ، وأن تغييره أو تطويره يؤدى إلى تحسين نتائج البنك ، وتحسين النتائج للأفراد .

كما أنه من الضرورى دراسة نظام الحوافز بشكل عام ، وبصفة خاصة نظام الأجور ، ونظام المزايا

منهج النظم فى إدارة الموارد البشرية فى البنوك الإسلامية

العينية ، والخدمات وإحداث التعديلات فى نظم الأجور والحوافز (المادية وغير المادية ، الايجابية والسلبية ، الفردية والجماعية ..) . وأى تغيير فى هذا النظام الفرعى (نظام الأجور والحوافز) يجب أن يكون من منطق النتائج .. من حيث تأثيره على النتائج ، وذلك بحيث تتلاءم مع دوافع الأفراد ، وأهداف البنك . تلك المبنية على الظروف البيئية المتغيرة .

ومن نظم تكييف بيئة العمل الداخلية أيضا نظام الاتصالات .. فمن الأهمية بمكان دراسة هذا النظام لمعرفة طبيعة الاتصالات الصاعدة الرسمية وغير الرسمية ، لمعرفة طبيعة الاتصالات الهابطة الرسمية وغير الرسمية ، لمعرفة طبيعة الاتصالات الأفقية وتحليل هذه المعاملات أو العلاقات التبادلية ، لمعرفة وتحديد الاتصالات المتقاطعة ، والاتصالات غير الفعّالة أو الأقل فعّالية ، واتخاذ الاجراءات اللازمة لتصحيح نظام الاتصالات : بحيث يحقق النتائج المرجوة . سواء كانت النتائج مطلوبة للبنك أو للأفراد : ليس على اعتبارهم تابعين للبنك : ولكن لأن الأفراد — فى ظل هذا النظام — مهمون فى أنفسهم لأن الله سبحانه وتعالى كرم الإنسان .

وآخر نظام فرعى لبيئة العمل ذلك النظام المرتبط بالانضباط والالتزام :

أى التزام الأفراد للقواعد الشرعية ، أو القواعد الموضوعية بمعرفة الادارة . ومن الأهمية دراسة طبيعة نظام الالتزام هذا : بمعنى هل الالتزام ذاتى أم التزام تنظيمى ، وما هى الأساليب التى يتبعها الموظفون لمعارضة الادارة ؟ وما هى طبيعة علاقات العمل (علاقات العمل بين الادارة وبين الموظفين) ؟

ومن الأشياء التى تدرس هنا :

فعّالية نظام الشورى ، أو نظام مشاركة الناس فى القرارات المتعلقة بحياتهم فى العمل .. وأى تعديل فى هذا النظام ، يجب أن يكون من منطق النتائج . ولا يتم تعديل أى نظام فرعى إلا من خلال ارتباطه بالنتائج : نتائج البنك والنتائج للأفراد .

وعلى ذلك فمن الضرورى معرفة علاقة الهيكل التنظيمى بالنتائج ، وما إذا كان تعديل الهيكل التنظيمى ضروريا ؛ سواء من حيث إثراء الوظائف أو تكبيرها أو من حيث علاقاتها ببعضها[٣] .. ومن الضرورى معرفة أنماط القيادة الادارية السائدة فى البنك ، وما إذا كانت الأنماط القيادية السائدة تزيد من فاعلية البنك أو الأفراد . أما إذا كانت الأنماط القيادية غير فعّالة ، فإنه يصبح من الضرورى عمل برامج لتطويرها .. ولا يقتصر الأمر فقط على تطوير الهيكل التنظيمى ، ومحاولة تطوير الأنماط القيادية غير الفعّالة ، أو الأقل فعّالية . بل إن الأمر قد يتطلب أحيانا دراسة نمط الإدارة ذاتها .. وتغيير نمط الادارة غير الفعّال ، أو نمط الادارة الأقل فعّالية .

وإذا كانت نظم بيئة العمل الفرعية ، متعلقة بتطوير الفرد بصفة عامة ، فإن التدريب والتطوير هى أساليب تطويرية مباشرة .. ففى التدريب تزداد المهارات للقيام بالعمل الحالى ، وفى التطوير يتم تحسين القرارات ، لجعلها أكثر ملاءمة للمستقبل ، وما يحمله من تغييرات ، أو لتحمل مسئولية التغييرات المرغوبة أو المطلوبة . وليس للتدريب قيمة كبيرة ما لم يكن فى إطار بيئة العمل ككل وهو ما جعلنا نعالج موضوع التدريب بعد نظم بيئة العمل الفرعية (الأجور والمزايا والاتصالات والانضباط وعلاقات العمل والتطوير التنظيمى للبنك) .

إن كل النظم الفرعية السابقة ستؤثر فى الأداء ، وبالتالى فإنه من الضرورى قياس أداء الأفراد من منطق النتائج التى تحددت ، والأدوار التى تحددت لكل منهم ، ومن الضرورى منح الجزاء الإيجابى أو السلبى .. المادى أو غير المادى . بحيث يتحمل كل فرد نتيجة عمله .. ويجب أن يدرس نظام تقييم الأداء دائما ، لمعرفة مدى موضوعيته ، ومدى فعّاليته ، ولا يتم تصحيح أى نظام لتقييم الأداء ، إلا فى ضوء النتائج المتوقعة منه للبنك وللأفراد .

إن النتائج الكلية التى تحوى نتائج البنك ونتائج الأفراد هى أساس منطق نظام إدارة الموارد

وفيما يلى شكل يوضح هذا المنهج التقليدى :

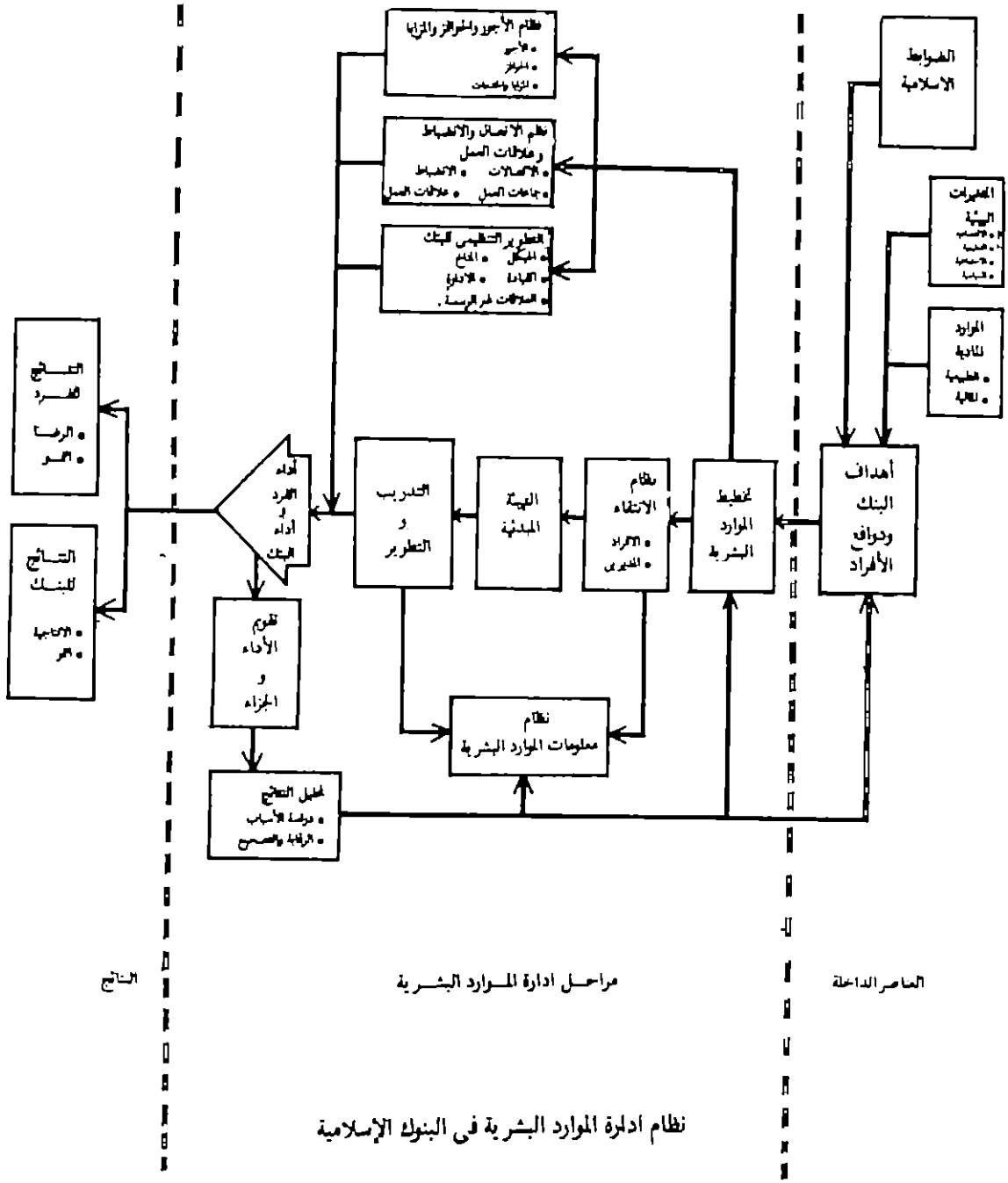

نظام ادارة الموارد البشرية فى البنوك الإسلامية

شكل (١-١)

منهج النظم في إدارة الموارد البشرية في البنوك الإسلامية

البشرية . وتقاس النتائج دائما ، بالأهداف التى تقررت ، سواء أهداف البنك أو أهداف الأفراد ..

وتحليل النتائج ضرورى ، لمعرفة أوجه الخلل أو القصور التى أدت إلى الأداء الضعيف .. ونظم المعلومات هنا تكون ضرورية ، لتقديم المعلومات الملائمة فى الوقت الملائم : سواء كانت هذه المعلومات من مصادرها الثانوية (السجلات) ، أو من مصادرها الأولية (الأفراد أنفسهم) ، وتلعب الاستقصاءات دوراً محورياً فى قياس رضا العاملين ، وهى مسألة مهمة فى ذاتها . ومن المعروف أن رضا العاملين مرتبط بمعظم — إن لم يكن كل — النظم الفرعية فى إدارة الموارد البشرية ..

ونظام تحليل النتائج ، ونظم المعلومات يهدف أساساً إلى برنامج تصحيحى ، يحوى اجراءات لتصحيح المسار ، نحو تحقيق الأهداف الموضوعة ، أو الرقى بالأهداف المحققة إلى مستوى أعلى من المستوى الحالى : سواء كان ذلك من منظور البنك ، أو من منظور الأفراد .. وبذلك تبدأ الدورة من جديد .. أهداف البنك ودوافع الأفراد حسبما يوضح الشكل (١ — ١) .

إن هذا الإطار الفكرى ، يجب أن يكون قادراً على تصور أو تصوير العلاقة ، بين الأجزاء الفرعية للنظام المتكامل ، وقادر أيضا على تحديد المراحل المنطقية فى النظام ، وقادر على تحفيز الإدارة بإدخال تحسينات على النظم الفرعية لتحسين النتائج الكلية . إن استخدام وفهم منهج النظم فى ادارة الموارد البشرية سيؤدى إلى نجاح البنوك الاسلامية فى رسالتها فى تجسيد مبادئ الاسلام فى الواقع العملى .

الهوامش

(١) Schuster, Contemporary Issues in Human Resources Management op. cit., p. 99

(٢) يقابل العناصر الداخلة باللغة الإنجليزية اصطلاح Inputs يطلق عليه البعض « مدخلات » ويقابل لفظ النتائج باللغة الإنجليزية Outputs ويطلق عليه البعض « مخرجات » .

(٣) اثراء الوظائف وتكبير الوظائف من المصطلحات التى تم شرحها بالتفصيل فى الجزء الثالث من الموسوعة عن التنظيم فى البنوك الإسلامية .

قال عمر رضى الله عنه : ثلاث يثبتن الود فى صدر أخيك :
أن تبدأه بالسلام ، وأن توسع له فى المجلس ، وتدعوه بأحب الأسماء إليه .

* * * * *

★ قال خالد بن صفوان : شهدت عمر بن عبيد ورجل يشتمه ، فما ترك منه شيئا ، فلما فرغ قال له عمرو :

« آجرك الله على ما ذكرت من صواب ، وغفر لك ما ذكرت من خطأ » .

قال خالد : فما حسدت أحدا حسدى لعمرو بن عبيد على هاتين الكلمتين .

* مر المسيح عليه السلام بقوم من اليهود فقالوا له شرا ، وقال لهم خيرا .
فقيل له : إنهم يقولون شرا وتقول لهم خيرا .
فقال : كل واحد ينفق مما عنده .

* * * * *

★ قال لقمان لإبنه : يا بنى إياك والسؤال فإنه يذهب ماء الحياء من الوجه ، وأعظم من هذا استخفاف الناس بك .

★ قال رجل لابنه : إياك أن تريق ماء وجهك عند من لا ماء فى وجهه .

★ قيل : أحب الناس إلى الله من سأله ، وأبغض الناس إلى الناس من احتاج إليهم .

الضوابط الإسلامية في إدارة الموارد البشرية في الكويت والاقتصاد

د. حسن الشافعي
أستاذ العقيدة الإسلامية
جامعة الإمام بالقصيم

هذا الفصل جزء من كل ، فهو جانب من عمل فريق تتكامل بكل جوانبه الموسوعة ويحكمه عدد معين من الصفحات ، التى تسمح بها قواعد المشاركة وخطة العمل ، ويترتب على ذلك أمران : (١) ضرورة الضغط والتركيز (٢) ترك الباب مفتوحا للاضافات والتوسعات .

وقد حرص الباحثان على أن تكون مصادره الأساسية هى المصادر الأصلية للتشريع الاسلامى من قرآن وسنة وتطبيقات جرت فى الصدر الأول بوجه خاص ، دون اغفال لمجهودات المفكرين الاسلاميين المحدثين الذين يعتد برأيهم .

وقد قام بتتبع آيات القرآن الكريم وأحاديث النبى والوقائع التطبيقية التاريخية عدد من أساتذة الجامعات والمتخصصين فى مجالات القرآن والعقيدة والحديث والفقه والتاريخ * غير أن ضرورة الضغط والتركيز التى تم الاشارة اليها قضت عند الصياغة بالاكتفاء بقليل من كثير .

ويتضح من تناولنا للنصوص الاسلامية ، أن اتجاه النصوص ينحو غالبا منحى كليا بحيث يغطى – دفعة واحدة – طائفة من الوظائف الرئيسية للادارة ، الا أننا نلاحظ ملاحظة واضحة أن أكثر النصوص الاسلامية فى موضوع الادارة هى النصوص التى تعالج شئون

الأفراد ، وبذلك ينفذ الاسلام الى لب المشكلة الادارية حيث يقضى المنطق وتوجب الضرورة الاهتمام المركز بالانسان ، من حيث أن كل وظيفة ادارية من تخطيط وتنظيم وتنسيق وتوجيه ومتابعة تتوقف أساسا على الأفراد الصالحين ، كما تتجه لخدمة الانسان وتحقيق مصالحه فردا كان أو جماعة ، فهى بالانسان وللانسان .

وسيتم بحث الجوانب الآتية فى ضوء الاطار العام لهذه الموسوعة :

مدخل : المنهج الاسلامى منهج انسانى
أولا : فى سلوك المسلم
ثانيا : فى سلوك القادة (بصفة خاصة)
ثالثا : فى انتقاء الأفراد
رابعا : فى الأجور
خامسا : فى الانضباط وعلاقات العمل
سادسا : فى التدريب والتطوير .
سابعا : فى تقويم الأداء والجزاء

○ مدخل :
المنهج الاسلامى منهج انسانى

ان الباحث فى الشريعة الاسلامية لا بد وأن ينتهى فى دراسته * الى حقيقة أساسية **وهى أن المنهج الاسلامى منهج إنسانى بكل أبعاده سواء فى التعامل بين الرؤساء والمرؤوسين ، أو بين الأفراد بعضهم مع البعض** حيث يقف الفكر الغربى عاجزا عن حل معضلة التعامل مع البشر فى الحالات المختلفة وهو ما يظهر من الاطلاع على الفكر الغربى فى ادارة البشر .

فحين يلقى العالم المتخصص فى الادارة نظرة متدبرة فى قوله تعالى :

« فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كُنت فظًا غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر ، فاذا عزمت فتوكل على الله ، ان الله يحب المتوكلين » (١) .

فإنه سيجد بملكته الادارية ملامح علاقات انسانية شاملة لكل الوظائف الحيوية فى الادارة الفعالة . فالاهتمام مركز على الفرد المسلم باعتباره قائدا أو واليا أو مديرا محدد الواجبات كخليفة عن الله وباعتباره مرؤوسا مرتبطا بقيادته الموصولة بالله دون أن تحجبه عن خالقه ، فهو يشارك ويخطط ويشير ويصيب ويخطىء ويوجه فى رحمة وحنو ولين ، وهذه بعض الحقائق المستفادة من الآية الكريمة :

١ – رعاية مبدأ العلاقات الانسانية بين الرؤساء والمرؤوسين « فبما رحمة من الله لنت لهم » .

٢ – الفشل أثر مباشر لاهمال هذا المبدأ « ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك » . يقول الامام القرطبى الفظ : الغليظ الجافى ، وغلظ القلب : جمعه بين قلة الاشفاق والرحمة وتجهم الوجه ، ومعنى لانفضوا أى لتفرقوا (٢) .

٣ – فى قوله تعالى : « فاعف عنهم ، واستغفر لهم ، وشاورهم فى الأمر » ثلاث مراحل ادارية اسلامية فى غاية الأهمية :

أ – تصفية ما بين الرؤساء والمرؤوسين – عند حدوث المقتضى لذلك من خطأ ونحوه تصفية كاملة تصل الى درجة العفو . وهنا يأتى تكامل مندرج من الحقائق الادارية ، فالذى يملك العفو يملك العقوبة كما يملك الاثابة ، ويملك معها التوجيه وكلها من لوازم الادارة المعروفة التى تحتاج الى دراسة تفصيلية ودقيقة فى المنهاج الاسلامى للادارة التى لو أخذ المديرون أنفسهم بتطبيقها لتفانى العاملون فى نجاح ما يوكل إليهم من واجبات .

ب – تصفية آثار الاخطاء – باعتبارها أمرا واردا ومتوقعا فى مجال الحركة والنشاط – بأسلوب انفرد به المنهاج الاسلامى فى الادارة ، حيث تتم التصفية هنا فيما بين العاملين وبين خالقهم سبحانه ، ويستفاد ذلك من قوله تعالى « **واستغفر لهم** » وهذه التصفية ذات فائدة مزدوجة يقتسمها الرؤساء والمرؤوسون لأن معناها

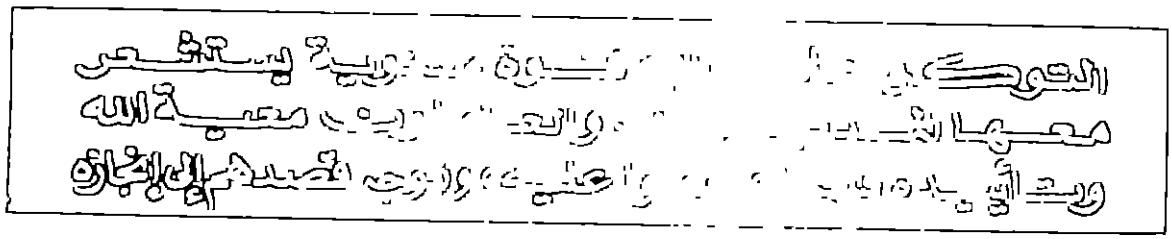

أن المدير أو القائد لا يستمد حقه فى طاعة العاملين له من ذاته الخاصة ، وانما يستمده من مبدأ خلافته عن الله ، وهذه ميزة هامة تتميز بها أصول الادارة فى الاسلام كما قلنا ، وتقف حائلا دون أن يستمرىء المرؤوس الخطأ لارتباطه بغضب الله ، كما تقف حائلا دون أن يتسرب الغرور أو الاستعلاء بغير وجه حق الى نفوس الرؤساء تؤدى الى احباطات ضارة بمصلحة العمل والعاملين .

جـ - احساس الأفراد العاملين تحت طاعة مديرهم بكرامتهم الانسانية ، وبتمام مسئوليتهم عن نجاح أهداف مشروعهم عن طريق المشاركة بالرأى والمشورة ، ويستفاد ذلك من قوله تعالى « **وشاورهم فى الأمر** » .

ويستفاد مما سبق أن مرحلة التخلص من المشكلات بحسن مواجهتها تسبق مرحلة اشراك العاملين بالرأى مع أعلى مستويات الادارة ، ومن البدهى أن حسن المتابعة ويقظة الرقابة هى التى تفتح أعين الادارة أولا بأول على أى مشكلة .

٤ - على أن التنظيم الدقيق لهذه المراحل وارد بحسم وشدة من سياق الآية اذ يجب أن تنتهى كل هذه الخطوات التحضيرية الى الانطلاق الذى لا يعرف التراجع أو التردد ، لأن العمل يأتى فى مكانه الطبيعى بعد أن استوفى العاملون حقهم ، ويستفاد ذلك من قوله تعالى : « فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين » .

والتوكل على الله قوة معنوية يستشعر معها المديرون والعاملون معية الله وتأييده فيما عزموا عليه ، وتوجه قصدهم الى انجازه . وهذه ميزة تميزت بها قواعد الادارة فى الاسلام ، ومع هذه الميزة تكون الطمأنينة والسكينة والثقة ورباطة الجأش وهدوء الاعصاب ، وكلها أوصاف تدعو الى نجاح الادارة - اذا استكملت أسبابها العملية من المتوكل - نجاحا ليس له نظير .

إن القرآن الكريم ، والسنة المطهرة ، مصدر كثير من الضوابط فى إدارة الموارد البشرية : ضوابط فى سلوك البشر بشكل عام ، وفى سلوك القادة بشكل خاص ، ضوابط فى انتقاء الأفراد ، وفى الأجور ، وفى الانضباط ، وعلاقات العمل فى التدريب ، وفى تقويم الأداء والجزاء .

أولا : فى سلوك المسلم

يمكن استخلاص عدد من الضوابط فى سلوك الانسان المسلم من القرآن والسنة .

قال تعالى : « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون » (٣)

ويستفاد من هذا النص الصفات الآتية : (**الايمان - إقامة الصلاة - إيتاء الزكاة - الوفاء بالعهد - الصبر - الصدق**) . وأى خلل يعترى وصفا من هذه الأوصاف يخرج صاحبه عن معنى (البر) والخروج عن نطاق البر يفقد الطمأنينة والثقة لأن تعريف البر هو : ما اطمأنت اليه النفس . واذا اهتزت الثقة ولم تتوفر عوامل الطمأنينة للعامل فان وظيفة الانتقاء تقضى حينئذ بالاقصاء والابعاد .

وتضيف آيات سورة آل عمران فى وصف المتقين الى ما سبق صفة (كظم الغيظ والعفو) أى القدرة على ضبط النفس واستيعاب المواقف غير المستحبة بنية صالحة . كما تضيف أيضا صفة (مراجعة النفس وتصحيح الخطأ) وهى أوصاف ضرورية فى تحمل أى مسئولية يختار لها الانسان .

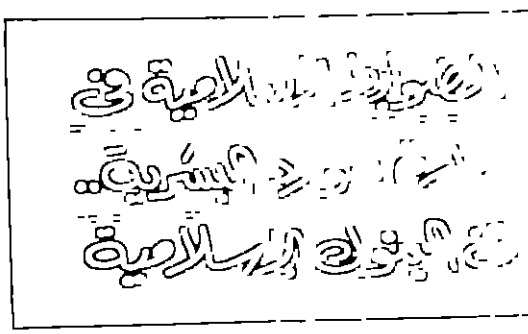

قال تعالى : « والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ، والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله ، فاستغفروا لذنوبهم ، ومن يغفر الذنوب الا الله ، ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون » (٤)

الصفات العامة السلبية التى يحرص الاسلام على أن يبرأ منها المسلم :

– عدم التناهى عن المنكر ، والسكوت المتعمد عن بيان الحق قال تعالى : « كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون » (٥)وغنى عن البيان أن الرضى بالمنكر والسكوت عن بيان الحق والصواب فى مجال العمل يفسد النتائج ويضلل الرؤساء ويظلم المرؤوسين ويبدد أى جهد للعامل الجاد .

– النفاق والازدواج والذبذبة .

قال تعالى : « ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين ، يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون ، فى قلوبهم مرض .. » (٦)

– وقد روى مسلم عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا اؤتمن خان »

– الكذب وأكل الحرام والمسارعة لمعصية الله .

قال تعالى « سماعون للكذب أكالون للسحت »

وقال تعالى : « وترى كثيرا منهم يسارعون فى الاثم والعدوان وأكلهم السحت » (٨)

– استمرار الظلم والركون للظالمين والطغيان والبغى ، قال تعالى « فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا،إنه بما تعملون بصير ، ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون « (٩)

– عدم الاستقلال فى الشخصية فى القيم الأصيلة والقواعد الجوهرية .

قال تعالى : «حتى إذا اداركوا فيها جميعا قالت أخراهم لأولاهم ربنا أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون » (١٠)

وقال تعالى : « ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا « (١١)

وقال تعالى : « وكذلك ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون » (١٢) .

وقال تعالى « ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم فى العذاب مشتركون (١٣)

– حب الذات الذى يصل الى النفعية والانانية والانتهازية وجعل ذلك هو المقياس المعتبر :

قال تعالى : « ومنهم من يلمزك فى الصدقات فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون » (١٤)

وقال ﷺ : « ثلاثة لايكلمهم الله ... ورجل تابع إماما لايبايعه الا لدنياه إن أعطاه ما يريد وفى له والا لم يف له ... » (١٥)

– الحلف الكاذب بقصد الهروب من المسئولية والغيبة والنميمة واللمز والحقد الذى يمنع الخير من الآخرين :

قال تعالى : «سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم إنهم رجس » .

قال تعالى : « ولاتطع كل حلاف مهين ، هماز مشاء بنميم ، مناع للخير معتد أثيم »(١٧)

– ترك الصلاة وعدم إقامتها :

عن أبى سفيان قال : سمعت جابرا يقول : سمعت النبى ﷺ يقول :

« ان بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة » (١٨)

على أن هناك حدودا فاصلة فى عملية الاختيار – ابعادا واقصاء – لامجال فيها للتحفظ أو التردد وقد أشار القرآن فى عديد من آياته الى هذه الأبعاد التى تتلخص جميعها فى الكافرين المعاندين .

قال تعالى : « لايتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شىء الا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه والى الله المصير» (١٩)

ولعل آيات سورة الممتحنة تشفى الغلة بتفصيل كامل فى فقه هذا الوضوح ففى أول السورة حسم فى المنع : « **يأيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوى وعدوكم أولياء ..** » وفى آخرها نفس الحسم فى المنع : « **يأيها الذين آمنوا لاتتولوا قوما غضب الله عليهم** » وفى وسطها تفصيل دقيق « **لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين .... انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظلمون** » (٢٠)

على أن المجتمع المسلم نفسه اذا اعتاد الغفلة وألف الانحراف وتواطأ على الباطل فإن الله يتولى سبحانه بقدرته عملية اختيار البديل الأصلح ذلك أن الله لايحابى المبطلين لمجرد أنهم أسموا أنفسهم بالمسلمين .

قال تعالى : « **والله الغنى وأنتم الفقراء ، وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لايكونوا أمثالكم** »(٢١)

ثانيا : فى سلوك القادة « بصفة خاصة »

يمكن استخلاص عدد من الضوابط الواجب ممارستها فى العمل القيادى فيما يلى :

١ ــ كراهية الحرص على الولاية :

ينظر الاسلام لمهمة القيادة على أنها ليست أمرا تشريفيا بقدر ما هى أمر تكليفى ثقيل التبعة والمسئولية أمام الله والناس . واذن فإن إقبال الكثيرين عليها وإستشرافهم لها يدل على عدم التقدير الدقيق لما وراءها من واجبات . لذا كان سيدنا رسول الله ﷺ لايدع فرصة الا وينبه أصحابه وأمته لهذا الفقه ، ويطالبهم بتكييف مشاعرهم نحوها على هذا الأساس .

روى الامام مسلم بسنده قال ... حدثنا عبد الرحمن بن سمرة قال : قال رسول الله ﷺ : « **يا عبد الرحمن بن سمرة : لاتسأل الامارة فإنك ان أعطيتها عن مسألة وكلت اليها ، وان أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها** » (٢٢)

ولا شك أن هذا التوجيه النبوى الكريم كان يتكرر فى مواقف كثيرة حين يستشرف بعض أصحابه للامارة مع توفر النية الصالحة ، اذ الغرض تربية الاحساس بالمسئولية نحو هذه المهمة الخطيرة . ومن هذا القبيل ما رواه الامام البخارى من مقارنة بين المسئوليات فى الحديث الجامع الذى يقول فيه رسول الله ﷺ :

« **كلكم راع ومسئول عن رعيته ، فالامام راع ومسئول عن رعيته ، والرجل فى أهله راع ومسئول عن رعيته ، والمرأة فى بيت زوجها راعية وهى مسئولة عن رعيتها ، والخادم فى مال سيده راع وهو مسئول عن رعيته** – قال : **فسمعت هؤلاء من النبى صلى** ﷺ ، **وأحسب النبى** ﷺ قال : **والرجل فى مال أبيه راع ومسئول عن رعيته ، فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته** »(٢٣) .

٢ – الوضوح الشديد فى رؤية الهدف والتصميم عليه :

القائد المسلم متميز فى ادراكه لوسائل منهاج

---

* قال ﷺ :

« **من قل طعامه صَحَّ بدنه ، ومن كثر طعامه سقم بدنه ، وقسى قلبه** » .

* * * * *

* قال علىّ كرم الله وجهه :

« **العلم نهر ، والحكمة بحر ، والعلماء حول النهر يطوفون ، والحكماء وسط البحر يغوصون ، والعارفون فى سفن النجاة يسيرون** » .

* * * * *

قال ملك الموت لنوح عليه الصلاة والسلام :

ــ يا أطول النبيين عمرا كيف وجدت الدنيا ولذتها ؟

قال : كرجل دخل فى بيت له بابان ، فقام وسط البيت ساعة ثم خرج من الباب الثانى .

الضوابط الإسلامية في إدارة الموارد البشرية في البنوك الإسلامية

أمته وأهدافه ، يعرف السبيل ببصيرة ووضوح ، وهذا يستدعي أن يكون عالما بتعاليم دينه حارسا على شرع الله في مجتمعه .

قال تعالى : « **قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين**» والبصيرة هي الحجة الواضحة ( )

وقال تعالى : « **فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم** » .

وقال تعالى : « **وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك** » .

٣ – العدل :

واذا كانت هذه الآيات لالزام المجتمع كله بما فيه من أقليات فيجب أن يطمئن الجميع الى العدل ويأمنوا الحيف والظلم والاضطهاد .

قال تعالى : « **وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا واليه المصير** » (٢٨)

وقال تعالى : « **يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى** » (٢٩)والشنآن هو البغض ، والمقصود بالقوم الكفار .

٤ – الرحمة :

ان وضوح الهدف والتصميم على الوصول اليه وتطبيق قواعد العدل والانصاف تحتاج كلها الى مناخ انسانى يتفاعل فيه المجتمع بكل أطرافه لذا نبّه القرآن على صفة الرحمة واثرها فى النفوس والسلوك وأشار الى تكامل هذه الصفة مع صفة الحزم والعزم والتصميم .

قال تعالى : « **فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فأعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر ، فإذا عزمت فتوكل على الله ، إن الله يحب المتوكلين** »

وقال تعالى : « **لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم** »

ومن رحمة القائد رعايته لظروف رعيته وتحسس همومهم ومتاعبهم وفى هذا روى البخارى ومسلم عن مالك ابن الحويرث قال :

« **أتينا النبى صلى** – ونحن سبية متقاربون – **فأقمنا عنده عشرين ليلة ، وكان رسول الله** رحيما رفيقا ، فظن أنا قد اشتقنا أهلنا فسألنا عمن تركنا من أهلنا فأخبرناه فقال :

« **إرجعوا إلى أهليكم فأقيموا فيهم وعلموهم ...** » الخ الحديث .

٥ – عدم الاستبداد بالرأى وطلب المشورة :

من أشد ألوان الأذى للانسان ، تقرير شئونه ، والبت فى مصيره دون اشراكه فى صناعة القرار الذى يتعلق به وبحياته ، ومن أكثر الأمور تأثيرا فى ترضية النفس الانسانية أن تشترك بالرأى فيما يتعلق بها أو بمجتمعها من قرارات أو سياسات لذا فقد حرص الاسلام على أن يتصف القائد المسلم باستعداده للافادة من مشورة المسلمين ، بل وجه ذلك المعنى فى صيغة طلبية من رسول الله فى الآية التى أسلفنا ذكرها ، حيث كان الخطاب لرسول الله واضحا صريحا : « وشاورهم فى الأمر » وفى صيغة أخرى من صيغ القرآن الرائعة يقول تعالى :

« **والذين استجابوا لربهم ، وأقاموا الصلاة ، وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون** »

وقد ثبت عند المتخصصين فى علوم الادارة من غير المسلمين أن أنجح الأساليب القيادية فى الادارة الحديثة هو ذلك الأسلوب الذى يهتم بالعلاقات الانسانية الى جوار الاهتمام بالمقاصد الحيوية من أى مشروع بل ثبت

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
ما بعث الله من نبي ، ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان :
بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه ، وبطانة تأمره بالشر وتحضه
عليه ، فالمعصوم من عصم الله . صدق رسول الله.

أن الاهتمام بالعلاقات الانسانية وفى مقدمتها المشاركة بالشورى فى التخطيط للمشروع ورسم سياسته هى الوسيلة المثلى لنجاح المشروع نفسه . ومعنى ذلك أن التجارب الانسانية العملية المتعددة قد بدأت بقصد أو بغير قصد – تتلمس طريقها الى التسليم بالوحى .

٦ ــ اختيار البطانة الصالحة :

من أهم ما يجب أن ينصف به القائد أو المدير أن يحسن اختيار خلصائه والمقربين اليه ، باعتبار أن هؤلاء الخلصاء هم فى الغالب الأعم حلقة الاتصال فيما بينه وبين مرؤوسيه ولهم آراؤهم التى تؤثر على أساليب العمل وتنفيذ المشروعات ، فاذا كانوا مخلصين متجردين كانوا أمناء فى نقلهم الصورة الصحيحة له ، وبذلوا له صادق الرأى فيما يعرض من أمور ، فكان وجودهم الى جواره مدعاة لإحقاق الحق ونشر الخير وتحقيق الأهداف المرجوة من المشروعات على أكمل وجه ، أما لو كانت البطانة من الوصوليين النفعيين ذوى الأغراض والأمراض فسوف يكون لهم أسوأ الأثر فهم يغيرون الحقائق ويعطون لكل شىء اللون الذى يتمشى مع مصالحهم فيحسنون القبيح ويقبحون الحسن بما فى ذلك الأشخاص والأحوال والمخططات والصفقات . مما يؤدى الى تأخير أصحاب الكفاءات الحقيقية والاجحاف بهم ، وتقديم الذين لايستحقون ، وهذا يؤدى ــ ان عاجلا أو آجلا ــ الى تفكك الروابط وفساد المشروعات وخرابها .

وقد نبه الاسلام الولاة والمسئولين الى هذه الحقيقة من حيث ضرورة احسان اختيار خلصائهم وجلسائهم ، فقد روى الامام البخارى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :

« ما بعث الله من نبى ، ولا استخلف من خليفة الا كانت له بطانتان : بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه ، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه فالمعصوم من عصم الله (٣٤)

وفى هذا النص الشريف تعميم لهذه الظاهرة التى تصاحب القيادات بما فيها النبوة ، ذلك أن عناصر الخير والشر لايخلو منها مجتمع ، فعلى كل مسئول أن يعصم نفسه من بطانة السوء مستلهما الهدى والمعونة من الله سبحانه وتعالى ، والمعصوم من عصم الله .

٧ ــ تحرى مصلحة المرؤوسين والنصح والاخلاص لهم :

روى الامام البخارى رضى الله عنه عن معقل بن يسار رضى الله عنه قال : سمعت النبى ﷺ يقول : **« ما من عبد استرعاه الله رعية ، فلم يحطها بنصحه الا لم يجد رائحة الجنة »**(٣٥)

وروى الامام مسلم رضى الله عنه ، عن الحسن قال : عاد عبيد الله بن زياد معقل بن يسار المزنى فى مرضه الذى مات فيه ، قال معقل : انى محدثك حديثا سمعته من رسول الله ﷺ ــ لو علمت أن لى حياة ما حدثتك ــ : انى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما من عبد يسترعيه الله يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته الا حرم الله عليه الجنة »(٣٦)

قال النووى فى شرحه :

« ومعنى التحريم هنا المنع ، قال القاضى عياض رحمه الله : معناه بين فى التحذير من غش المسلمين لمن قلده الله تعالى شيئا من أمرهم واسترعاه عليهم ونصبه لمصلحتهم فى دينهم أو دنياهم ، فإذا خان فيما اؤتمن عليه فلم ينصح بما يتعين عليه عليه من حفظ شرائعهم والذب عنها .

قال القاضى : وقد نبه ﷺ على أن ذلك من الكبائر الموبقة المبعدة عن الجنة والله أعلم »(٣٧)

٨ ــ التحرى الدقيق فى اختيار المستويات القيادية الأولى :

روى الامام البخارى عن حذيفة قال :

« **ان النبى ﷺ قال لأهل نجران : لأبعثن اليكم رجلا أمينا حق أمين . فاستشرف لها أصحاب النبى ﷺ ، فبعث أبا عبيدة** » (٣٨)

ويستفاد من هذا الحديث أن من واجب المسئول حين يختار المسئولين الذين يلونه ان يتحرى فى اختيارهم الدقة الشديدة من حيث صلاحيتهم للمهمة التى تناط بهم .

٩ ــ الحلم والأناة :

فى صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال للأشج أشج عبد القيس : « **إن فيك خصلتين يحبهما الله الحلم والأناة** » .

قال النووى فى شرحه : أما الأشج : فاسمه المنذر بن عائذ ... وأما الحلم : فهو العقل وأما الأناة : فهى التثبت وترك العجلة . وسبب قول النبى ﷺ ذلك له ما جاء فى حديث الوفد أنهم لما وصلوا المدينة بادروا الى النبى ﷺ ، وأقام الأشج عند رحالهم ، فجمعها وعقل ناقته ولبس أحسن ثيابه ثم أقبل الى النبى ﷺ فقربه النبى ﷺ وأجلسه الى جانبه ثم قال لهم النبى ﷺ :

« **تبايعون على أنفسكم وقومكم فقال القوم : نعم . فقال الأشج : يا رسول الله انك لم تزاول الرجل عن شىء أشد عليه من دينه ، نبايعك على أنفسنا ، ونرسل من يدعوهم فمن اتبعنا كان منا ، ومن أبى قاتلناه قال صدقت ، ان فيك خصلتين يحبهما الله الحلم والأناة** »(٣٩)

فهذه صفات اعتبرها الاسلام أوصافا لازمة فيمن يتعرض لمسئولية الولاية والادارة ورعاية أمور الناس ، ومن اليسير أن نلاحظ أن مجموعة هذه الأوصاف تنقسم الى قسمين :

قسم يغطى الوظائف الرئيسية للادارة التى توصل اليها المتخصصون المحدثون من تخطيط ، وتنسيق ، وتوجيه ، ومتابعة ، ورقابة ، وهذا القسم تسهل معرفة الأوصاف المتصلة به .

وقسم يتميز به منهج الادارة فى الاسلام ، وذلك مثل صفة عدم التكالب والحرص على الولاية والرئاسة ، وكالمزج بين صفات العدل والرحمة والمشورة والحزم ورقابة الله سبحانه فى تحرى المصلحة . وكالتفريق بين النفاق والمداراة بالقصد الحسن والنية الطيبة مع دقة الخيوط الفاصلة بين الأمرين . على أنه تندرج تحت هذه الاوصاف أوصاف فرعية كثيرة يمكن استنباطها منها .

ثالثا : فى انتقاء الأفراد

١ ــ الالتزام بالتجرد والنزاهة فى القائمين على الانتقاء :

يجب أن يلتزم الشخص الذى يقوم بعملية الاختيار بالتجرد والنزاهة ويرعى الأسباب الموضوعية وحدها وفى ذلك يقول تعالى : « **يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولايجرمنكم شأن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون** » (٤٠)

٢ ــ ضرورة مطابقة المواصفات مع المهمة :

ومن هذه الأسس تحديد المواصفات التى تتناسب مع المهمة وأخذها فى الاعتبار عند الاختيار من بين المرشحين للوظائف وقد نعى الله على المشركين عدم تقديرهم لحقيقة المواصفات التى تناسب مهمة النبوة

فحكى عنهم قولهم فى الآية الكريمة : « **وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم** »(٤١)

٣ ــ استثناء الغيبة من الكبائر فى حالة الانتقاء :

من الأمور المقررة فى الاسلام حرمة الأعراض واعتبار الغيبة من الكبائر ، غير أن عملية الاختيار تحتاج ــ موضوعيا ــ الى استعراض المحاسن والمساوىء اثناء دراسة الأفراد ، ومن هنا شرع الاسلام نوعا من الترخيص الذى لايتجاوز قدر الضرورة فى مواقف الاختيار والمشورة والنصيحة . من ذلك ما رواه الامام مسلم عن فاطمة بنت قيس أن أبا عمرو بن حفص طلقها البتة وهو غائب فأرسل اليها وكيله بشعير فسخطته ، فقال : والله مالك علينا من شيء ، فجاءت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له فقال : **« ليس لك عليه نفقة »** فأمرها أن تعتد فى بيت أم شريك ثم قال : **« تلك امرأة يغشاها أصحابى اعتدى عند ابن أم مكتوم فإنه رجل أعمى ، تضعين ثيابك فإذا حللت فآذنيني »** قالت : فلما حللت ذكرت له أن معاوية بن أبى سفيان وأباجهم خطباني . فقال رسول الله ﷺ :

« .. أما أبوجهم فلا يضع العصا عن عاتقه ، وأما معاوية فصعلوك لامال له ، انكحى أسامة بن زيد » فكرهته ، ثم قال : **« انكحى اسامة »** فنكحته **فجعل الله فيه خيرا واغتبطت به »**(٤٢)

والشاهد فى هذا الحديث الشريف استبعاد سيدنا رسول الله ﷺ معاوية بن ابى سفيان وأبى جهم أثناء عملية اختيار الزوج المناسب لفاطمة بنت قيس وذكر الرسول ﷺ لبعض ما فيهما من عيوب .

يقول الامام النووى فى التعليق على هذا الحديث « قال العلماء : ان الغيبة تباح فى ستة مواضع أحدها الاستنصاح وذكرتها بدلائلها فى كتاب الأذكار ثم فى رياض الصالحين »(٤٣)

---

* بلغ عدد الصفحات التى كتبها الباحثون ١٦٠ (مائة وستون صفحة) ولقد تم اختصار البحث بشكل يتلاءم مع متطلبات الموسوعة لتغطى عددا كبيرا من الموضوعات . ومن المتوقع نشر البحث الأصلى بشكل مستقل حتى يتمكن الباحثون المتخصصون من الاستزادة فى هذا الموضوع .

*اسهم فى اعداد البحث الأصلى :

د. عبد المجيد محمود عبد المجيد الأستاذ بقسم الشريعة بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة .

د. عبد الله محمد جمال الدين المدرس بقسم التاريخ الاسلامى دار العلوم بجامعة القاهرة .

(١) آل عمران :١٥٩

(٢) القرطبى : تفسير ص١٤٩ط دار الشعب

(٣) سورة البقرة : ١٧٧

(٤) من آية ١٣٤ الى ١٣٥ آل عمران

(٥) سورة المائدة : ٧٩

(٦) سورة البقرة : ٨ ــ ٩

(٧) سورة المائدة : ٤٢

(٨) سورة المائدة : ٦٢

(٩) سورة هود : ١١٢ ــ ١١٣

(١٠) سورة الأعراف : ٣٨

(١١) سورة الاحزاب : ٦٧

(١٢) سورة الزخرف : ٢٣

(١٣) سورة الزخرف : ٣٩

(١٤) سورة التوبة : ٥٨

(١٥) صحيح البخارى ــ كتاب الاحكام جـ ٩ ص ١٩

(١٦) سورة التوبة : ٩٥

(١٧) سورة القلم : ١٠ ــ ١٢

(١٨) صحيح مسلم بشرح النووى جـ ٢ ص ٦٩ ــ ٧٠

(١٩) سورة آل عمران : ٢٨

(٢٠) سورة الممتحنة : ٨ ــ ٩

(٢١) سورة محمد : ٣٨

(٢٢) رواه الامام مسلم فى صحيح جـ ١١ ص ١١٦ باب كراهة ــ الحرص على الولاية .

(٢٣) رواه الامام البخارى فى صحيحه ــ كتاب العتق فتح البارى جـ٥ ص١٨١

(٢٤) سورة يوسف/١٠٨

(٢٥) انظر تفسير الجلالين لهذه الآية ص٣٢٥ط رئاسة ادارات البحوث بالسعودية

(٢٦) سورة الشورى : وهذه الآيات لالزام الأقليات من أهل الكتاب فمن باب أولى أن تكون لالزام المسلمين .

(٢٧) سورة المائدة : ٤٩

(٢٨) سورة الشورى : ١٥

(٢٩) سورة المائدة : ٨ وانظر تفسير الجلالين ص١٤٢

ضوابط.. ومعايير الاستثمار في المنهج الإسلامي

د. رفعت العوضي
كلية التجارة - جامعة الأزهر

تعنى ضوابط الاستثمار القواعد والقيود والالتزامات التى ينظم بها الاسلام سلوك رأس المال فى المجتمع : بمعنى أنه اذا كان الاسلام قد أعطى للأفراد حق تملك رأس المال ملكية خاصة ، كما أعطى لهم حق استثمار هذا المال فى الأنشطة الاقتصادية التى يختارونها ، أنه إذا كان قد أعطى لهم هذه الحقوق ، فانه قد أخضع ذلك لمجموعة من القيود والقواعد . وهذا هو ما أقصده بالضوابط ، واذن ، تكون ضوابط الاستثمار بالمعنى الذى أقصده هنا هى المبادىء والقواعد التى يجب أن يعمل مالك رأس المال ، أى متخذ قرار الاستثمار على أن يحققها وهو يقوم بالاستثمار ، ويكون الاخلال بهذه القواعد إخلالا بالمنهج الاسلامى فى الاستثمار .

فى ضوء ذلك ، أعرض ضوابط ومعايير الاستثمار كأحد أسس المنهج الاسلامى ، وسوف أبحث هذا الموضوع على النحو التالى :

أولا : اعتبار العقيدة الاسلامية فى منهج الاستثمار .

ثانيا : علاج وضبط الصراع الاجتماعى .

ثالثا : تحقيق التنمية .

رابعا : توجيه أو تخطيط الاستثمار .

ويمكن أن نصنف هذه الضوابط الأربعة الى مجموعتين تتضمن المجموعة الأولى الضابطين الأولين ، وهما :

اعتبار العقيدة الاسلامية فى منهج الاستثمار وعلاج وضبط الصراع الاجتماعى . وسوف نسمى هذه المجموعة بالضبط العقائدية أو المعنوية وسوف نقصر حديثنا عنها .

أما المجموعة الثانية فانها تشمل الضابطين الآخرين وهما : تحقيق التنمية ، وتوجيه أو تخطيط الاستثمار . وسوف نسميها بالضوابط الاقتصادية وسوف نعالج الحديث عنها فى مرة مستقبلة بإذن الله .

الضوابط العقائدية والمعنوية

أولا : اعتبار العقيدة الاسلامية فى منهج الاستثمار

أعنى باعتبار العقيدة الاسلامية فى منهج الاستثمار أن النشاط الاستثمارى يجب أن يمارس كجزء من العقيدة الاسلامية . هذا من جانب ، ومن جانب آخر ، يجب أن يكون القائم بالاستثمار متحققا فيه وصف المسلم اعتقادا وسلوكا .

قد يكون عرض الموضوع فى هذا الإطار مثيرا للتساؤل — ، ذلك أنه قد يكون هناك من يرى أن استثمار رأس المال هو نشاط اقتصادى يخضع أو ينظم بضوابط ومعايير تترجم فى صيغ رياضية ، غالبا كما تتوقف كفاءة الاستثمار على مقدرة وكفاءة المستثمر على التنبؤ بالأحداث التى سوف تحكم وتقع فى سوق الاستثمار خاصة وفى السوق بصفة عامة . لكنى أعتقد أن مثل هذا التساؤل مردود عليه حتى فى النطاق الاقتصادى . ويمكن بيان ذلك على النحو التالى :

١ — ان النظام الرأسمالى الذى تأخذ به كثير من دول عالمنا المعاصر كاطار يحكم نظمها وأنشطتها الاقتصادية ، هذا النظام قد وجد بيئة ملائمة له فى أوروبا وذلك بعد أن تغيرت مجموعة القيم والمبادئ التى كانت تحكم السلوك العقلى والمدنى للانسان الاوروبى ، وذلك بأخذه بالفلسفة الفردية كاطار فلسفى يحكم تفكيره ، وبأخذه بمعيار المصلحة الخاصة كحافز يوجه سلوكه ونشاطه الاقتصادى . ولما كانت العقيدة تتكون من مجموع هذه القيم والمبادئ اذن يقبل اقتصاديا أن يكون السلوك الاستثمارى هو تطبيق وتفريع للعقيدة أى مجموعة القيم والمبادئ التى تحكم سلوك الأفراد .

٢ — كتفريع لهذا التحليل العام نجد أن مدارس الاختيار التكنولوجى على سبيل المثال ، تصنف الى ثلاث . ما يهمنا فيها المدرسة الثالثة ، وهى المدرسة التى تبنى فيها التحليل على أساس أن التكنولوجيا الملائمة لن تتدفق إلى أية دولة محل البحث الا اذا حدث تغيير جوهرى فى هذه الدولة بحيث يشمل هذا التغيير المعتقدات التى تحكم تفكير وسلوك الناس[1] ويعنى هذا أنه اذا كانت عملية الاختيار التكنولوجى الملائم ترتبط بمعتقدات الافراد ، فان السلوك الاستثمارى يكون كذلك هو أيضا .

٣ — فى السنوات الأخيرة بدأت تواجه مجموعة البلاد النامية مشاكل حادة ، سواء فى المجالات الاقتصادية أو غيرها من المجالات . وقد حاول بعض الاقتصاديين بحث أسباب هذه المشاكل ، وكان مما قيل إن الاطار الفلسفى والفكرى الذى يحكم أفراد هذه المجتمعات من بين هذه الأسباب ويعنون بالاطار الفلسفى والفكرى مجموعة القيم والمبادئ التى تحكم أسلوب تفكير الناس ، وهذا يعنى أنهم يتكلمون عن العقيدة .

٤ — اذا انتقلنا الى ما يسمون بالاشتراكيين ، اقتصاديين أو غير اقتصاديين ، نكتشف أنهم يبنون كل تحليلهم للمشاكل الاقتصادية أو غيرها كتفريع لمذهبهم . وكتطبيق لذلك ، نجد أن بعض البلاد النامية ، وبعض البلاد الاسلامية يصنف ضمن هذه المجموعة من البلاد ، قد فسرت المشاكل التى تواجهها بسبب أنها لم تأخذ بالجرعة الكافية من التعاليم الاشتراكية أو لم تأخذ بالاشتراكية ككل . ونحن نعرف أن المذهب الاشتراكى بطرحه أنصاره على أساس أنه مذهب شمولى ، له رؤياه الاقتصادية والاجتماعية وغيرها . وكنتيجة يكون ربط الاشتراكيين مشاكل البلاد النامية وايجاد حلول لها بالاشتراكية هو ادخال لفكرة العقيدة فى مجال النشاط الاقتصادى .

وهكذا ننتهى الى أن التساؤل الذى يثار بدهشة من بعض حين نتكلم نحن الذين نهتم أو نشتغل بالاقتصاد الاسلامى بضرورة الارتباط بالعقيدة كجزء من المنهج الاقتصادى هو تساؤل غير صحيح . اذ أن موضوع العقيدة مثار اقتصاديا تحت أى اسم وتحت أى عنوان وفى أى مذهب .

وقد تكون هنا كلمة من الضرورى توجيهها الى بعض الذين يهتمون بالاقتصاد الاسلامى ذلك أنهم قد يرون أننا سوف نتقدم بدراسة الاقتصاد الاسلامى بقدر ما نربطه بالاعتبارات المادية ، وفى المقابل ، أرى شخصيا مع غيرى أن التقدم الحقيقى فى دراسة

ضوابط ومعايير الاستثمار في المنهج الإسلامي

الاقتصاد الاسلامى يجىء من ربطه بالقيم والمبادىء الاسلامية ، أى بالعقيدة الاسلامية والاحتفاظ له بصيغته الحقيقية وعدم مسخه بوضعه فى قوالب الاقتصاد الوضعى .

بعد هذا التوضيح الذى كان ضروريا لبيان الربط بين القيم والمبادىء أى العقيدة وبين النشاط الاقتصادى وفق تحليل الاقتصاديين .

أنتقل الآن الى عرض الادلة التى استند إليها فى أن الاسلام ينظر الى النشاط الاستثمارى لرأس المال على أنه ممارسة للعقيدة وكذا ينظر الاسلام الى المستثمر على أنه يلزم أن يكون مسلما اعتقادا وسلوكا .

(أ) نأخذ أولا آيات تحريم الربا ، باعتباره أحد أوجه المنهج الاسلامى لاستثمار رأس المال . من أدلة تحريم الربا نجد الآية « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين ، فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله وان تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون ، وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وان تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون ، واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون » سورة البقرة ، الآيات ٢٧٨ — ٢٨١ .

اذا نظرنا الى هذه الآيات التى تحرم الربا نكتشف أن الله يوجه الخطاب الى الذين آمنوا واتقوا الله . ويعنى هذا أنه اذا كان تحريم الربا هو أحد أوجه التنظيم الاسلامى للاستثمار ، فان الاسلام يوجه بداية الخطاب فيه الى الذين آمنوا واتقوا الله أى أن الامر كله التزام عقائدى وسلوك عقائدى أيضا ونوجه النظر أيضا الى الآية الأخيرة من الآيات السابقة وفيها نجد : واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ... الخ **ويعنى هذا أيضا أن الامر فى الاستثمار ليس مقدار العائد المادى وانما الامر مرتبط بالعقيدة وبالسلوك الذى سوف يحاسب عليه المؤمن يوم القيامة .**

ويتأكد الربط بين **العقيدة وتنظيم الاستثمار** اذا عرفنا معنى **المتقى** ، وهو الذى يتحقق فى صاحبه وصف التقوى الذى تكرر فى الآية محل الذكر أكثر من مرة . ان معنى المتقى كما يفسره القرآن هو « **الم ، ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ، الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ، والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالاخرة هم يوقنون ، أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون** » سورة البقرة الآيات من ١ — ٥ .

هذه الآيات تحدد أن **المتقى هو الذى يؤمن بالغيب ويؤمن بالآخرة إلى آخر الأوصاف التى وصف بها** وهذه الأوصاف كلها تتعلق بالعقيدة . ونفس هذا الشىء ، أى ربط تحريم الربا بالعقيدة ، نجده فى آية أخرى من آيات تحريم الربا ، وهى « **يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون ، واتقوا النار التى أعدت للكافرين ، وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون** » ، سورة آل عمران الآيات ١٣٠ — ١٣٢ . وهنا أيضا نجد أن تحريم الربا اسلاميا كنشاط استثمارى يوجه فيه الخطاب الى المؤمنين الذين اتقوا والذين يعملون ليوم القيامة ، أى أن تحريم الربا وهو أحد أسس المنهج الاسلامى للاستثمار مربوط بأمور كلها تتعلق بالعقيدة .

(ب) ان المنهج الاسلامى فى الادخار كأحد صور تراكم رأس المال الاجتماعى ، ويمثل هذا النوع من التراكم أو الادخار ما ينفقه المسلم وما يقوم به من زكاة وصدقة وغير ذلك . وتستخدم هذه النفقات كلها فى مساعدة الضعفاء ، أى الاستثمار فى العنصر البشرى ، وتحقيق التوازن بين أفراد الجماعة الاسلامية ، وكذلك توفير الحد الأدنى الضرورى واللازم لكل فرد . تكشف مراجعة الادلة التى تنظم هذا النوع من الادخار عن أن تنظيمها يكون هو أيضا مربوطا بالعقيدة ؛ بمعنى أن السلوك هنا هو جزء من السلوك المؤمن الملتزم بالعقيدة . من هذه الادلة التى تتعلق بالزكاة « **أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون** » ، سورة البقرة الآية ٢٧٧ . يبدأ هذا الذى تنظم به الزكاة بتوجيه الخطاب الى الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة .

ومن الآيات التى نستدل بها فى هذا الصدد . « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون » ، سورة البقرة الآية ١٧٧ .

هذه الآية تقرن الزكاة التى هى أحد صور تراكم رأس المال الاجتماعى فى الاسلام بأمور كلها ترتبط بالعقيدة . يعنى هذا كما نكرر دائما أن عملية الاستثمار فى الاسلام ، ومنها الاستثمار فى المجال الاجتماعى هى عملية تنظم فى اطار العقيدة ، وأن المسلم فى هذا النوع من النشاط يكون ملتزما بالعقيدة الاسلامية والا لما وجه الخطاب له بالذين آمنوا .

ذكرت أن صدقة التطوع وصدقة الماعون هما أيضا أحد الأدوات التى يستخدمها الاسلام لعمل تراكم رأس المال الاجتماعى . وللتدليل على ربط الاسلام هذه الاداة بالعقيدة الاسلامية نجد الدليل الآتى « أرأيت الذى يكذب بالدين ، فذلك الذى يدع اليتيم ، ولا يحض على طعام المسكين ، فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون ، الذين هم يراءون ويمنعون الماعون » .

ان الربط هنا أوضح ما يكون بين ما أسميه بالاستثمار الاجتماعى وبين العقيدة ، ذلك أن الذى لا يعطى صدقة الماعون هو أحد الذين يكذبون بالدين . ولا نجد دينا آخر أو مذهبا وضعيا أيا كان يجعل عدم اعطاء الصدقة التى تستخدم لتنمية

العنصر البشرى مساويا للتكذيب بالدين . ونجد قريبا من هذا المعنى آيات سورة الليل : « فأما من أعطى واتقى ، وصدق بالحسنى ، فسنيسره لليسرى ، وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى ، وما يغنى عنه ماله اذا تردى إن علينا للهدى ، وإن لنا للآخرة والأولى » « سورة الليل » الآيات : ٥ — ١٣ .

(ج) تربط أيضا قصة الرجلين التى وردت فى سورة الكهف بين العقيدة وبين موضوع المال : استثمارا أو غيره . تقول الآيات التى تحكى هذه القصة « واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا ، كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئا وفجرنا خلالهما نهرا ، وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا ، ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا ، وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربى لأجدن خيرا منها منقلبا ، قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذى خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا ، لكنا هو الله ربى ولا أشرك بربى أحدا ، ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا ، فعسى ربى أن يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا ، أو يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا ، وأحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهى خاوية على عروشها ويقول يا ليتنى لم أشرك بربى أحدا ، ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا ، هنالك الولاية لله الحق هو خير ثوابا وخير عقبا » سورة الكهف ، الآيات ٣٢ — ٤٤ .

إن هذه الآيات كلها تنظم استخدام المال على أنه جزء من العقيدة . إن الرجل الذى يقول لصاحبه لكنا هو الله ربى ولا أشرك بربى أحدا : يشير إلى أن المال أو استخدامه لن يكون سببا فى إشراكه بالله . وآية الختام فى هذه القصة : هنالك الولاية لله الحق هو خير ثوابا وخير عقبا . هذه الآية تفوض الأمر وتنقل كل الولاية بما فيها ولاية المال لله الحق .

وأخيرا أذكر الآيات الآتية : « إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين ، ولا يستثنون ، فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون ، فأصبحت كالصريم ، فتنادوا مصبحين ،

ضوابط ومعايير الاستثمار في المنهج الإسلامي

أن اغدوا على حرثكم إن كنتم صارمين ، فانطلقوا وهم يتخافتون ، أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين ، وغدوا على حرد قادرين . فلما رأوها قالوا إنا لضالون، بل نحن محرومون . قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون ، قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين ، فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون ، قالوا يا ويلنا إنا كنا طاغين ، عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها إنا إلى ربنا راغبون ، كذلك العذاب ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون » سورة القلم ، الآيات : ١٧ ــ ٣٣ .

تشير هذه الآيات إلى قصة بستان كان قرب صنعاء وكان لرجل ينادى الفقراء وقت قطع البلح ويترك لهم ما فى خطاف المنجل أو ألقته الريح ، فلما مات لم يرد أبناؤه أن يقتدوا به فحلفوا ليقطعن ثمرات النخل وهم داخلون فى الصباح[٢] فلما فعلو ذلك حل بهم العذاب بإهلاك الله بستانهم ، وهنا قالوا سبحان ربنا .

والنتيجة التى أنتهى اليها هى أن الاسلام ينظر الى النشاط الاستثمارى لرأس المال على أنه جزء من العقيدة الاسلامية ولذلك ، يلزم أن يكون القائم بعملية الاستثمار متحققا فيه وصف المسلم اعتقادا وسلوكا . وهكذا يكون المنهج الاسلامى لاستثمار رأس المال مرتبطا وتفريعا للمنهج الاسلامى العام .

وهناك نتيجة أخرى تكون مرتبطة ومتفرعة عن النتيجة السابقة وهى أن ربط عملية الاستثمار بالعقيدة يستلزم ربط جميع الضوابط وجميع الاهداف التى ينظم بها الاسلام استثمار رؤوس الأموال بالعقيدة . ويبنى على هذا نتيجتان . الأولى هى أنه اذا كنا نقول على سبيل المثال أن هناك مسئولية جماعية على مالك رأس المال باعتباره مستثمرا ، بحيث أنه فى استثماره يجب أن يراعى مصلحة الجماعة ، اذا كنا نقول هذا فانه يعنى أن هذا الهدف هو جزء من عقيدة المسلم . والنتيجة الثانية تعنى أنه اذا كانت كل الضوابط والأهداف التى ينظم بها الاسلام رؤوس الأموال هى جزء وتفريع للعقيدة ، فانه يعنى أن من الوسائل التى تستخدم للرقابة على هذا السلوك سوف تكون مراقبة الله الذى يراقب سلوك المسلم فى العقيدة ككل .

وتبقى ملاحظة أخيرة فى دراستنا لهذا الضابط الأول من ضوابط الاستثمار وهو اعتبار العقيدة الاسلامية ، هذه الملاحظة تتعلق بأن الارتباط بالعقيدة ليس قاصرا على قرار الاستثمار فحسب ، وانما الارتباط بالعقيدة يشمل كل أنواع الأعمال الاقتصادية التى يقوم بها الفرد .

من أدلة ذلك قوله تعالى : « يعملون له ما يشاءون من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داود شكرا ، وقليل من عبادى الشكور » ، سورة سبأ الآية ١٣ . وفى آية أخرى يقول تعالى « وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون » ، الأنبياء الآية ٨٠ . وآية أخرى تتفق أيضا مع المعنى الذى قلناه وهى « أتبنون بكل ريع آية تعبثون ، وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون ، وإذا بطشتم بطشتم جبارين ، فاتقوا الله وأطيعون » ، سورة الشعراء ، الآيات ١٢٨ ــ ١٣١ .

ثانيا : ضبط وعلاج الصراع الاجتماعى :

أعنى بالصراع الاجتماعى هذه الظواهر التى تتصل بما يعرف بالصراع الطبقى وهو صراع ينشأ فى المجتمعات الحديثة من وجود من يملك فى مقابل من لا يملك وهذا هو ما يقوله المفكرون المعاصرون . وهذا هو السبب الأساسى لما نسميه بالصراع الاجتماعى . وقد تكون هناك أسباب أخرى لهذا الصراع ولا تتصل بظاهرة الملكية ولكن مثل هذه الأسباب لا تدخل فى بحثى ، ولذلك لن أتعرض لها .

نتساءل فى البداية كيف يعالج الاسلام بواسطة منهجه فى الاستثمار الصراع الاجتماعى ، واذا لم يكن علاج هذه الظاهرة علاجا نهائيا ممكنا لأنها تتعلق بالطبيعة البشرية ، فكيف يعمل الاسلام على ضبط هذا الصراع بحيث لا يدمر المجتمع ، كما نشاهد الآن فى عالمنا المعاصر ، بل وكما نشاهده فى البلاد الاسلامية ،

هنالك مسئولية جماعية على مالك رأس المال باعتباره مستثمرًا بحيث أنه في استثماره يجب أن يراعى مصلحة الجماعة

وذلك لأنها لا تأخذ بالمنهج الاسلامى ككل ، ولا تأخذ بالمنهج الاسلامى فى الاستثمار وتنظيم المال خاصة . هذه الأسئلة وغيرها هى التى سوف أحاول الاجابة عليها ، وذلك بهدف أن أحدد التصور الاسلامى لضبط وعلاج الصراع الاجتماعى كأحد الضوابط فى المنهج الاسلامى للاستثمار :

يعمل الاسلام على علاج وضبط الصراع الاجتماعى بوسائل متعددة . وفى تقديرى أن هذه الوسائل كلها تجمع فى مبدأ واحد وهو تقرير حقوق للجماعة الاسلامية على المال . وبواسطة تقرير هذه الحقوق يهدف الاسلام الى تحقيق مجموعة من الاهداف ، التى بدورها تعمل على علاج وضبط الصراع الاجتماعى ؛ وهكذا يتحدد ويتشكل المنهج الاسلامى لعلاج وضبط الصراع الاجتماعى .

سوف أعرض بعض الأدلة والأحكام الاسلامية التى أعتقد أنها تتعلق وتتصل بالمنهج الاسلامى لعلاج وضبط الصراع الاجتماعى ، ومن خلال ذلك سوف أحاول أن أحدد الأهداف التى يستهدفها الاسلام ، وذلك لاستخدامها كوسيلة للعلاج وللضبط .

١ ــ أعرض أولا قصة قارون . يقول تعالى عن قارون « **إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين ، وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد فى الأرض إن الله لا يحب المفسدين ، قال إنما أوتيته على علم عندى أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون ، فخرج على قومه فى زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتى قارون إنه لذو حظ عظيم ، وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها الا الصابرون ، فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين . وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا أن من الله علينا لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون ، تلك الدار الآخرة ، نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين** » سورة القصص ، الآيات : ٧٦ ــ ٨٣ .

تصور هذه الآيات قصة قارون كواحد من الأغنياء رزقه الله مالا وفيرا ، ولكنه لم يراع حق الجماعة فى هذا المال . ويمكن بالنظر الى الآيات السابقة أن أحدد الجوانب التى لم يراع فيها قارون حق الجماعة على النحو التالى :

الجانب الأول :

يتمثل فى أن قارون استغل هذا المال أو اتخذه وسيلة للتعالى على أفراد جماعته التى يعيش فيها . ويصور ذلك : لا تفرح ، فخرج على قومه فى زينته ، فقد دل هذا على أنه اتخذ هذا المال الذى منحه الله اياه وسيلة للتعالى وليس هذا أحد أوجه استغلال أو استخدام المال التى يمنح الله لها المال . وقارون بهذا يسىء الى الجماعة التى عايشها أى أنه لم يراع حقها فيما أعطاه الله .

الجانب الثانى :

يتمثل فى أن قارون لم يعن بماله ذوى الحاجة فى مجتمعه . ويصور ذلك « **وابتغ فيما آتاك الله وأحسن كما أحسن الله اليك** .

وهذا النوع من حقوق الجماعة على المال هو أحد صور التراكم أو أحد أشكال الادخار وفق التصور الاسلامى ، ولذلك يكون الانفاق فيه هو نوع من أنواع الاستثمار ، وهذا النوع هو ما أخل به قارون .

الجانب الثالث :

يتمثل فى أن قارون استخدم المال الذى أعطاه الله له كوسيلة بغى وطغيان . تصور ذلك العبارة : **ولا تبغ الفساد فى الأرض** . ونحن نعرف أن الله تعالى فى قرآنه يصب حمما من الوعيد على صاحب المال حين يطغى بماله : « **كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه**

ضوابط ومعايير الاستثمار في المنهج الإسلامي

استغنى » سورة العلق ٦ ، ٧ . « **واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا** » سورة الإسراء ، الآية ١٦ » . هكذا ، يكون الطغيان بالمال وسيلة فورية للدمار والخراب وقد وقع فى هذا قارون .

ومعنى آخر فى هذه القصة تشير اليه الآية : **لولا أن من الله علينا لخسف بنا ، ويكأنه لا يفلح الكافرون** ، والمعنى الذى تشير اليه هذه الآية : هو أن الاسلام يربى المسلم بواسطة ما يقصه عليه من قصص السابقين على أن من الله بالمال على أحد ليس هو المن الحقيقى ، وإنما المن الحقيقى هو الايمان . ويؤكد هذا المعنى قوله تعالى فى آية أخرى « **بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين** » سورة الحجرات ، الآية ١٧ .

باجمال ، إن الوسائل التى استخدمها الاسلام لعلاج وضبط الصراع الاجتماعى والتى يمكن أن نستنتجها من التصور القرآنى لقصة قارون هى كالتالى :

(أ) الوسيلة الأولى هى أن الاسلام يربى المسلم على الايمان بأن المعطى الحقيقى هو الله ، وأنه ليس لأحد أن يقول إنما أوتيته على علم عندى . ويكمل الاسلام هذا المعنى بتربيته على أن اعطاء الله المال ليس هو المن الحقيقى ، وإنما المن الحقيقى هو من الله بالإيمان على المسلم .

(ب) الوسيلة الثانية التى تستنبط من هذه القصة تتكون من مجموعة من المعانى . هذه المعانى هى أن الاسلام ينمى فى المسلم الذى يمتلك صفات معينة ، منها : ألا يتخذ ما أعطاه الله له من المال وسيلة للطغيان والبغى فى الأرض ، أو يكون وسيلة لاذلال الآخرين بفرحه بماله فى مقابل أن الله لم يعطهم . ونعرف أن مجرد وجود ظاهرة من يملك ومن لا يملك ليس هو السبب الحقيقى لوجود الصراع الطبقى أو الصراع الاجتماعى ، وانما ينشأ هذا الصراع ويقوى من المعانى التى تنشأ فى نفوس الفقراء وهم يرون أصحاب المال وهم يفرحون ويفتخرون بأموالهم . لذلك حين يقول الاسلام للمسلم من خلال قصة قارون : لا تفرح بمالك ولا تفتخر به ، فانه يعالج الظواهر الحقيقية التى تولد ما تولد فى نفوس الفقراء .

(ج) الوسيلة الثالثة التى تستنبط من هذه القصة ، والتى يعالج ويضبط بها الاسلام الصراع الاجتماعى ، هى ما أسميه بالاستثمار فى رأس المال الاجتماعى . وهو الذى يهدف به الاسلام الى تنمية العنصر البشرى فى المجتمع الاسلامى . أن المسلم الذى يربيه الاسلام وهو يقص عليه قصة قارون ويسمعه : وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ... وأحسن كما أحسن الله اليك ، هذا المسلم يعلم أن عليه فى ماله واجبات للآخرين ، واذن من خلال العطاء ، ومن خلال خلق الاحساس عند من لا يملك أن الله يجعل له حقوقا عند من يملك أى أنه شريك فيه يستخدم ويستهدف الاسلام من كل هذا ، وذلك كوسيلة لمواجهة وعلاج الصراع الاجتماعى .

وإذا راجعنا الوسائل السابقة التى استخدمها الاسلام لعلاج وضبط الصراع الاجتماعى نجد أن بعض هذه الوسائل تكون وسائل معنوية ، بينما البعض الآخر وسائل مادية . وهكذا يعالج الصراع الاجتماعى بالتوجه مباشرة الى أسبابه الحقيقية .

وتوجد آيات أخرى كثيرة فى القرآن التى يمكننا أن نستدل بها ونربطها بعلاج وضبط الاسلام للصراع الاجتماعى من خلال تقريره حقوقا للجماعة الاسلامية على المال الخاص وعلى صاحبه ، ولن اتتبع كل ما يتعلق بذلك ، لأنه أكبر من نطاق هذا البحث . وإنما سوف أختار بعض الآيات ، وسوف أختار بعض الآيات التى سبق الاستدلال بها فى اعتبار العقيدة فى المنهج الاسلامى للاستثمار .

من هذه الآيات ، آيات سورة القلم التى سبق ذكرها **وأنا أبحث اعتبار العقيدة كأحد ضوابط المنهج الاسلامى فى الاستثمار** ، يتمثل فى قصة هذه الجماعة التى يقصها علينا القرآن علاج وضبط الصراع الاجتماعى . ذلك أنه كما سبق أن قلت إن الوسائل التى يستخدمها الاسلام فى هذا الصدد هى تقرير حقوق مادية للذين لا يملكون فى مال الذين

يملكون . وقد أخذت بهذا المفهوم الجماعة التى يقص علينا القرآن قصتها هنا . وبالرغم من أنهم قد أحكموا ما دبروه للقيام بالحصاد فى غيبة الفقراء حتى لا يأخذوا منهم حقهم الذى قرره الله لهم ، بالرغم من ذلك ، لم يكن تدبيرهم خافيا على الله الذى شرع هذا الحق . ولذلك سبقتهم القدرة الالهية الى ما لهم فأهلكته ، حتى أنهم وقفوا أمامه وهم مأخذون من شدة التدمير الذى أصابه وقالوا : **إنا لضالون ، ولا أبالغ أو أجهد النص إذا قلت : ان تدمير هذا المال الذى دبر أصحابه أن يمنعوا منه حق من لا يملك فيه إشارة الى أن الصراع الاجتماعى يمكن أن ينتج مثل هذا التدمير ، ولكن ساعتها لن يكون الأمر تدمير المال وحده ، وإنما سوف يكون معه دمار المجتمع بما فيه من بشر ومال .**

وآية أخرى سبق الاستدلال بها فى موضوع العقيدة ، وهى تحمل أيضا ارشادات إسلامية بشأن علاج وضبط الصراع الاجتماعى . هذه الآيات هى آيات سورة الكهف : واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما ... الخ . يقص القرآن بهذه الآيات قصة أخرى على المسلمين ليعلمهم كيف لا يكون تقرير حق الملكية الخاصة وحق استثمارها لصالح صاحبها ، كيف لا يكون سببا فى الصراع الاجتماعى .

والآيات هنا صريحة فى الربط بين ظاهرة الصراع الاجتماعى وظاهرة وجود من يملك ومن لا يملك . ولكن يوجد فى الآيات معنى دقيق جدا يلزم الاشارة إليه ، هذا المعنى هو أن تحليل ظاهرة الصراع الاجتماعى وظاهرة وجود من يملك ومن لا يملك وفق التصور الاسلامى كما تشير إليه هذه الآيات ، **هذا التحليل لا يقوم على أن مجرد وجود ظاهرة من يملك ومن لا يملك هو السبب فى وجود الظاهرة الأخرى وهى الصراع الاجتماعى ، وانما ظاهرة الصراع الاجتماعى ترتبط وتتعلق وتدور مع ظاهرة أخرى وهى كيفية التصرف واستخدام المال** ، ويجعل الاسلام هنا التصرفات والاستخدامات المعنوية للمال تساوى التصرفات المادية . إن الرجل الذى تحكى الآيات قصته على أنه ظالم كان سوء تصرفه واستخدامه لماله من قبيل الأعمال المعنوية ، ذلك أنه قال لصاحبه أنا أكثر منك مالا ... ثم دخل جنته مغرورا ظالما وهو يعتقد أن ماله لكثرته لن يفنى أبدا .

ان التحليل الاسلامى الذى يربط ظاهرة الصراع الاجتماعى بظاهرة سوء استخدام الملكية الخاصة وليس بظاهرة وجود الملكية الخاصة ، مثل التحليل غير مسبوق . ذلك أن كل الذين تعرضوا لتحليل ظاهرة الصراع الاجتماعى أو كما يسمونها ظاهرة الصراع الطبقى ، كل هؤلاء ربطوا بين هذه الظاهرة وبين ظاهرة الملكية الخاصة نفسها . ولذلك كان علاجهم لها يتجه الى المطالبة بإلغاء حق الملكية الخاصة كوسيلة للقضاء على الصراع الطبقى ، وهى المجتمعات التى تدعى الآن أنها تطبق الماركسية ، هذه المجتمعات تعانى الآن من أعنف صور الصراع الاجتماعى ، أو بمصطلحهم الصراع الطبقى. ذلك لأن تحليل فلاسفتهم وتفكيرهم كان تحليلا خاطئا وكان مفروضا ، وكان تحليلا يقوم على الحقد وحب الانتقام ، وليس تحليلا يستهدف بناء مجتمعات ، وهكذا إن الالتزام بالتحليل الاسلامى الذى يربط ظاهرة الصراع الاجتماعى ، وليس الصراع الطبقى ، بظاهرة سوء استخدام الملكية الخاصة ، وليس بظاهرة الملكية الخاصة نفسها ، هذا التحليل يستهدف بناء مجتمع وليس تخريب مجتمع قائم . وكنتيجة إن العلاج الاسلامى للصراع الاجتماعى لا يستهدف الغاء الملكية الخاصة وانما يعالج ذلك من خلال ترشيد الاستخدام والتصرف فى الملكية الخاصة ، حتى لو كانت هذه التصرفات من قبيل التصرفات المعنوية .

وأكرر أيضا : أن ارتباط منهج التحليل الاسلامى فى هذا الصدد بالتصرفات المعنوية بجانب التصرفات المادية هو تحليل أيضا غير مسبوق ولا يوجد له نظير الى وقتنا هذا عند كل الفلاسفة والعباقرة الذين كتبوا وتعرضوا لهذا الموضوع .

إذا كانت المعانى التى تستنتج من قصة قارون ، تمثل البعد الأول فى الضوابط التى تتعلق بالعلاج

ضوابط ومعايير الاستثمار في المنهج الإسلامي

وضبط الصراع الاجتماعى ، وهو العلاج الذى أعتقد أن الاسلام يعمل للوصول إليه من خلال تقرير حقوق للجماعة عند التصرف واستخدام رأس المال فان تحريم الربا يمثل البعد الثانى . وسوف أحاول هنا عرض كيف يكون تحريم الربا هو أحد الأبعاد التى تمثل حق الجماعة عند أخذ قرار الاستثمار ، وبالتالى أحد أبعاد المنهج الاسلامى لعلاج الصراع الاجتماعى . أن الربا ببساطة يضمن دخلا لصاحب رأس المال عندما يشارك مع عوامل الانتاج الأخرى فى أى نشاط اقتصادى . ويمكن هنا أن نميز بين طرفين : يمثل الطرف الأول صاحب المال ولا يختلف اثنان على أن تحديد دخل محدد لصاحب رأس المال بصرف النظر عن نتيجة النشاط الاقتصادى ، هذا التحديد يحابى ويميز ويكون لمصلحة هذا المالك ، هذا هو الطرف الأول . أما الطرف الثانى فانه يتمثل فى ملاك عوامل الانتاج الأخرى التى تشارك رأس المال فى النشاط الاقتصادى المنتج ، وأيضا لا يختلف اثنان هنا على أن تحديد دخل محدد مقدما لصاحب رأس المال لا يحابى ولا يكون لصالح ملاك خدمات العوامل الأخرى ، حتى وان تحقق ربح يفيض عن النصيب الذى أخذه صاحب رأس المال . لأننا بالفائدة التى حددناها لرأس المال قد أعطينا له نوع ضمان قبل بدء النشاط الاقتصادى ، بينما لم نوفر هذا لملاك خدمات العوامل الأخرى .

ويكون الموقف أكثر محاباة لصاحب رأس المال وأكثر تميزا له ، إذا حقق النشاط الاقتصادى الذى اشتركت فيه عوامل الانتاج خسارة ولم يحقق أرباحا ، لأننا نكون بهذا قد ضمنا دخلا لصاحب رأس المال على حساب ملاك عوامل الانتاج الأخرى . بمعنى أنهم يدفعون لصاحب رأس المال . وهكذا إذا كنا ننظر الى ضوابط الاستثمار من وجهة نظر صاحب رأس المال وحده فان الفائدة تكون ضابطا جيدا . أما إذا كنا ننظر الى ضوابط الاستثمار من وجهة نظر جميع ملاك عوامل الانتاج ، أى من وجهة نظر الجماعة ككل ، أى من زاوية علاج وضبط الصراع الاجتماعى ، فان الضابط الذى يعتبر يكون هو الذى يجعل ملاك العوامل يشاركون فى الربح والخساره معا . والمشاركة فى الربح والخسارة هى التى يعبر عنها الفقهاء المسلمون بقاعدة الغنم بالغرم .

ويمكن أن نعبر عن هذا بمصطلحات أخرى ، كأن نقول إن تحريم الفائدة وتشريع المشاركة فى الربح والخسارة يحقق العدل والتوازن بين ملاك خدمات عوامل الانتاج . وهكذا يكون تحريم الربا يمثل بعدا آخر فى حق الجماعة عند أخذ قرار الاستثمار كأحد ضوابط الاستثمار ، أى أنه أحد الأدوات التى يستخدمها الاسلام لعلاج وضبط الصراع الاجتماعى .

قد يعترض معترض على أننى بهذا التحليل السابق أجهد التحليل الاسلامى . بمعنى أن أحمله فوق طاقة ما يحتمل . ذلك أن الصراع الاجتماعى فى تحليل المفكرين المعاصرين ، وهم الذين يسمونه بالصراع الطبقى ارتبط بوجود ظاهرة من يملك فى مقابل من لا يملك ، وتحريم الربا فى الاسلام الذى قد يكون فى البيوع أو فى الاقتراض ليس مرتبطا بالضرورة بالتبادل

أربعة تؤدى إلى أربعة :

الصمت إلى السلامة .
والبر إلى الكرامة .
والجود إلى السيادة .
والشكر إلى الزيادة .

أربعة معرفة بأربعة :

الكاتب بكتابتـــه .
والعـــالم بجوابـه .
والحكيم بأفعـــاله
والحليم باحتمالـــه .

والتعامل بين من يملك ومن لا يملك ، واذن ، كيف أدخله فى علاج الصراع الاجتماعى ؟

انى أعتقد أن تحليل الصراع فى المجتمع على أساس ربطه بظاهرة من يملك فى مقابل من لا يملك هو تحليل من وجهة النظر الاسلامية مبالغ فيه فى البساطة والسذاجة . ذلك أن الصراع الاجتماعى فى الفهم الأسلامى يرتبط بجانب ما سبق أن قدمته بتجاوز الحد . ويمكن أن يترجم هذا المصطلح بمصطلحات أخرى مثل عدم تحقيق العدل ، أو الاخلال بالتوازن الذى يستهدفه الاسلام بين ملاك عدمات عوامل الانتاج .

ويرشدنا الى هذا الفهم ما ينقل الينا من أنه فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه تخاصم اثنان بسبب أن أحدهم يمنع الآخر من أن تمر المياه له ، ولما ظهر لعمر تعنته أمر الذى يضار من ذلك بأن توصل المياه الى أرضه وقال قولته : « **حتى ولو كان ذلك لاجرين الماء ولو على بطنه** » برغم الأول ، إن هذه الحادثه كما قلت ، تشير الى الفهم الاسلامى للصراع الاجتماعى .

ان النزاع هنا كان بين مالكين ، ولم يكن بين مالك وغير مالك ، واذن إذا كنا نقول إن تحريم الربا هو أحد الأدوات التى استخدمها الاسلام لعلاج وضبط الصراع الاجتماعى ، فاننا نمد بهذا الفهم الاسلامى للصراع من كونه صراعا يرتبط بظاهرة من يملك ومن لا يملك الى كونه صراعا يرتبط بظاهرة سوء الاستخدام والتصرف فى الملكية حتى ولو كانت بين مالكين .

يمثل تحريم الاحتكار بعدا ثالثا فى حق الجماعة عند أخذ قرار الاستثمار كأحد الضوابط فى المنهج الاسلامى للاستثمار ، وهو الحق الذى نشتق منه المنهج الاسلامى لتصور وعلاج الصراع الاجتماعى . كيف يكون ذلك ؟

يميز فى الدراسات الاقتصادية بين أنواع عديدة من الاحتكار ، منها **الاحتكار الكامل** حيث يسيطر على السوق بائع واحد أو مشتر واحد ، **والاحتكار الثانى ، والمنافسة الاحتكارية** ، الى غير ذلك من التقسيمات المعروفة لأنواع الاحتكار ، والتى تمتلىء بها الكتب الاقتصادية . وعندما تكون **المنافسة** هى التى تسيطر على السوق ، يشير التحليل الاقتصادى الى أن الشركات التى تعمل فى مثل هذا السوق لا تحقق إلا ما يعرف اقتصاديا **بالربح العادى** . وذلك لأن ميكانيكية الدخول والخروج الى ومن هذا السوق تجعل الارباح غير العادية تختفى من هذا النشاط ، أما عندما تكون السوق خاضعة لأحد أشكال الاحتكار ، فان الشركات التى تعمل فى هذا النشاط تحقق فوق الربح العادى ما يعرف بالأرباح غير العادية ، هذا هو أحد جوانب الاحتكار ، هناك جانب ثان من جوانب الاحتكار ويتمثل فى أن المحتكر بصفته الاحتكارية يحدد التوازن عند مستوى أقل من مستوى الانتاج الأمثل ، فالمحتكر يتحكم فى كمية الانتاج ، وهو يسعى الى أن تكون الكمية المعروضة فى السوق صغيرة بالنسبة للطلب حتى يرتفع الثمن ، وهكذا **يكون الجانب الثانى للاحتكار يتلخص فى النقص المصطنع للكمية المنتجة** ، أى أن الاحتكار يؤدى الى حرمان المجتمع من كمية من السلعة التى تخضع للاحتكار .

هناك بعد ثالث للاحتكار ، ويتمثل هذا البعد كأوضح ما يكون فى حالة الاحتكار الجزئى . وفى هذا النوع من الاحتكار يكون لكل طرف احتكارى استراتيجية فى مواجهة الطرف الآخر فى السوق . ويدرس سلوك المحتكرين هنا بنظرية معروفة وهى « نظرية التقارع » أو نظرية اللعب[٣] وما يعنينى وأنا أدرس هذا النوع من الاحتكار هو أن أشير الى هذا السلوك العدائى ، وهذه المواجهة بين المتعاملين فى هذا السوق . ومن وجهة نظر الجماعة ككل ، يكون مثل هذا السلوك ضارا بل مدمرا للمجتمع .

هناك بعد رابع للاحتكار وهو يمثل أحد أبعاد الاحتكار الأكثر سوء لنتائج من وجهة النظر الاجتماعية ، ويتعلق هذا البعد بأثر الاحتكار على تحديد الأجر وعلى تحديد كمية العمل المشغلة ، حيث يحدد الأجر بأقل مما ينتج العامل كما تحدد الكمية المشغلة بأقل مما يجب أن تشغل اذا لم يكن هناك احتكار .

ما سبق هو باختصار بعض الأبعاد التى تلازم الاحتكار ، ونعرف أن الاسلام قد حرم الاحتكار ، من أدلة هذا التحريم حديث الرسول ﷺ « الجالب مرزوق والمحتكر خاطىء » وأيضا الحديث الذى معناه من احتكر حكرة يريد أن يغلى بها على المسلمين فكأنه أخذ قطعة من النار ، الى غير ذلك من أدلة تحريم الاحتكار . يشير الحديث

ضوابط ومعايير الاستثمار في المنهج الإسلامي

الأول الى معنى اقتصادى فى الاحتكار وهو أثر الاحتكار على حجم أو كمية الانتاج المعروضة . ذلك أن الحديث يقارن بين جلب السلع الى الأسواق وبين الاحتكار .

ويعنى هذا أن الاحتكار يعمل على تقليل كمية المنتجات التى تعرض فى الأسواق وهذا هو أحد الأبعاد التى أشرت لها للاحتكار ، ويشير الحديث الثانى الى معنى اقتصادى آخر وهو أثر الاحتكار على الثمن ، وهذا هو أيضا أحد الأبعاد التى رأيناها عند دراستنا للاحتكار من أن المحتكر يعرض سعرا أعلى من السعر الحقيقى للسلعة محل الاحتكار ..

وهكذا نستنتج أن الاسلام حين حرم الاحتكار لم يحرمه للاعتبارات الأخلاقية وحدها وإنما حرمه أيضا لاسباب اقتصادية ، يرتبط بها التحليل الاقتصادى الحديث .

لنتساءل الآن عن علاقة تحريم الاحتكار بحق الجماعة الاسلامية فى عملية الاستثمار كأحد الضوابط الحاكمة فى هذا المجال ، أى بعلاج وضبط الصراع الاجتماعى ؟

لو نظرنا الى الاحتكار من وجهة نظر شخصية أى من وجهة نظر المحتكرين ، نكتشف أن الاحتكار يحقق للمحتكرين منافع اقتصادية ، لا يمكن إنكارها . وأقرب أنواع هذه المنافع الارباح غير العادية التى تتحقق له . لكن من الوجه المقابل إذا نظرنا الى الاحتكار من زاوية الجماعة ككل فسوف نكتشف أن الاحتكار يسبب أضرارا اقتصادية لها . من الأضرار الاقتصادية نقص الانتاج المتعمد ، وعدم تشغيل العدد الصحيح من العمال الذى يمكن أن يشغل لو لم يكن هناك احتكار ، وكذلك من الأضرار زيادة الأثمان عن مستوياتها الحقيقية التى يمكن أن تتحدد فى حالة سيطرة المنافسة على السوق ، وبجانب هذه الأضرار الاقتصادية ، هناك المساوىء الأخلاقية التى يولدها الاحتكار ، ومنها : تقوية وظهور الأنانية الفردية للمحتكر ، واشعال نار الحقد والصراع بين أعضاء الجماعة . لذلك ، يجب تحريم الاحتكار من وجهة نظر الجماعة .

وكنتيجة : فإن الاسلام حين حرم الاحتكار قد راعى حق الجماعة ، وألغى أو أبطل المصلحة الفردية التى يمكن أن تتحقق للمحتكر .

يرتبط تحريم الاسلام للاحتكار بفهم حقيقة وطبيعة الصراع الاجتماعى ، ذلك أن التحريم هنا ليس مرتبطا بظاهرة من لا يملك فى مقابل من يملك ، وانما يرتبط بظاهرة سوء الاستخدام والتصرف فى الملكية .

لذلك إن المنهج الاسلامى لعلاج الصراع الاجتماعى لا يرتبط بالغاء ظاهرة الملكية الخاصة ، وانما يرتبط بترشيد استخدامها والتصرف فيها وطرق استثمارها ، ومن هذا الترشيد الاجتماعى : تحريم الاحتكار .

يمثل تحريم الإسلام **للغش أيضا** أحد أبعاد حق الجماعة فى عملية الاستثمار ، وبالتالى فى علاج الصراع الاجتماعى . إن حديث الرسول ﷺ الذى قال فيه « **من غشنا فليس منا** » ، هذا الحديث ينظم أيضا عمليات الاستثمار . فالذى يزعم القيام بمشروعات استثمارية لا أول لها ولا آخر ، وليس هناك فى حقيقة الأمر شىء تمو غاش للجماعة ، والذى يوجه الاستثمار الى مشروعات ليست هى المشروعات الأكثر ضرورية للمجتمع كأن يستثمر فى دور اللهو ويهمل أساسيات الحياة ومنها ما يلزم للقمة العيش هو غاش للجماعة . والذى يقوم فعلا بعملية حقيقية للاستثمار ولكنه يغش فيها فإن رسول الله ﷺ برىء منه . وتحريم الاسلام للغش هو مراعاة لحق الجماعة وابطال لمصلحة وأنانية الفرد التى يحققها بواسطة الغش .

وتحريم الاسلام للرشوة ، وبخاصة الى الذين يتولون المسئولية هو الآخر بعد آخر من الأبعاد المتعلقة أو المنظمة لحق الجماعة وبالتالى لعلاج الصراع الاجتماعى . والرشوة هى واحدة من أخطر الأسباب ، إن لم تكن أخطرها ، التى أصيبت بها المجتمعات النامية ومنها مجتمعاتنا الإسلامية .

نسمع كل يوم عمن يظن أنه كبير يرتشى فى عمليات استثمار حقيقية أو وهمية . وقد يكون هذا المزعوم أنه كبير قد حقق مصلحة شخصية . ولكن الجماعة ككل تكون قد خسرت وسوف يخسر معها هذا الكبير : فى الأجل القصير أو الأجل الطويل . إن الآية التى حرم الله فيها الرشوة تشير إلى أن سبب التحريم إنما يعود لمراعاةمصلحة الجماعة ومراعاة هذه المصلحة هو تعبير عن علاج الصراع الاجتماعى « **ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم وأنتم تعلمون** » سورة البقرة ، الآية ١٨٨ .

ان الآية تتجه صراحة الى سبب الرشوة وانه يؤدى إلى أكل أموال الناس بالباطل . وليس المراد هنا أن المرتشى يأكل أموال الناس بالباطل ، وإنما المراد أن الراشى هو الذى يستهدف من وراء الرشوة أكل أموال

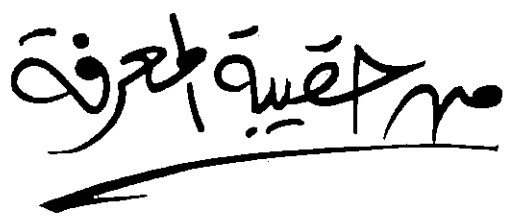

فضـــل المـــال :

★ **قال لقمان لابنه :**

يا بنى أكلت الحنظل ، وذقت الصبر ، فلم أر شيئاً أمر من الفقر ، فإن افتقرت فلا تحدث به الناس كيلا ينقصوك ، ولكن اسأل الله تعالى من فضله ، فمن ذا الذى سأل الله فلم يعطه ، أو دعاه فلم يجبه ، أو تضرع إليه فلم يكشف ما به ؟

* * * * *

★ **سئل علىّ كرّم الله وجهه وهو على المنبر فقال :**

ـ لا ادرى ، فقيل : ليس هذا مكان الجهال .

فقال : هذا مكان الذى يعلم شيئا ويجهل شيئا ، وأما من يعلم ولا يجهل فليس له مكان .

الناس بالباطل . أى الحصول على حقوق ليست له . وهكذا . إذا كانت الرشوة يمكن أن تحقق للراشى أو المرتشى مصلحة شخصية إلا أنها تحرم إسلاميا لما لها من آثار سيئة من وجهة نظر الصراع الاجتماعى .

إن النتيجة العامة التى نسجلها فى نهاية بحث هذا الموضوع هى :

أن المنهج الاسلامى لتحليل الصراع الاجتماعى هو منهج متميز من حيث فهمه لطبيعة هذا الصراع ثم من حيث علاجه وضبطه . ويبنى هذا المنهج باختصار على أساس أن الصراع الاجتماعى لا يرتبط بظاهرة وجود من يملك فى مقابل من لا يملك ، ولذلك يكون علاجه هو الغاء الملكية الخاصة ، وانما يرتبط هذا الصراع بظاهرة سوء الاستخدام

والتصرف فى استثمار رأس المال . ولذلك يكون العلاج بترشيد هذا الاستخدام أى بترشيد الاستثمار .

أما المنهج الاسلامى لهذا الترشيد فانه يقوم على دعامتين . الدعامة الأولى : يعمل الاسلام من خلالها على ترشيد استثمار رأس المال بواسطة تأليمه

لبعض صور استخدام رأس المال ، مثل تحريم الاحتكار إلى آخر ما ذكرناه ، وهذا ما أعبر عنه بالجانب السلبى فى هذا المنهج . أما الجانب الإيجابى فى هذا المنهج فهو ما يتعلق بالجوانب التى يباح فيها استخدام رأس المال .

هـــــوامش المقـــال .

(١) محمد فريد وجدى المصحف المفسر ، كتاب الشعب ص ٧٥٨ ــ ٧٥٩ .

(٢) أنظر فى عرض هذه النظرية : د. يحيى أحمد نصر ، « المدخل الى علم الاقتصاد ، دار الكتاب الجامعى ، القاهرة ١٩٨٠ ، ص ١٦٥ ــ ١٦٨ .

(٣) Stewart, France, "Technology and Employment in LDCs"; World Development, Vol. 2, No. 3, March, 1974, P. 32.

في الحضارة

إبراهيم سلام

○○ قضية الحضارة من القضايا الهامة التى شغلت بال المفكرين والعلماء ، وخاصة فى العصر الحديث .

ولعل هذا يرجع الى إبهار هذه الحضارة وما تقدمه من معطيات للانسان ، تتمثل فى التقدم التكنولوجى الهائل الذى يستفيد به الانسان من ناحية ، بقدر ما يهدده ، ويدمره أحيانا من ناحية أخرى .

فنحن نجد أشياء كثيرة تقدمها معطيات هذه الحضارة للانسان فى الجانب المادى ، مما يستمتع به ، وهى فى نفس الوقت تقدم أدوات التخريب والدمار بعدَ أن قصرت دون ريب فى الاستفادة من المثل العليا والغايات الكريمة والمعانى الانسانية النبيلة .

ولعل هذا يسوقنا الى الحديث عن الحضارة العربية الاسلامية وجوانبها المضيئة ومثلها وغاياتها السامية حيث تستهدف خدمة الانسان وتأكيد رسالته وخلافته على الأرض انطلاقا من تعاليم الاسلام وما يدعو اليه .

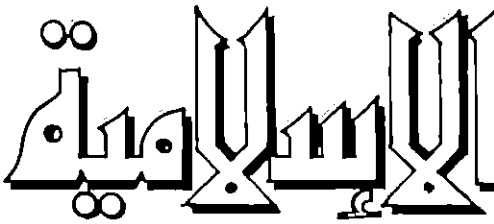

حضارة انسانية :

ولعله يجوز وصف هذه الجوانب للحضارة الاسلامية كما يقول **الدكتور عبد الرحمن على الحجى** فى دراسته عن الحضارة الاسلامية فى الأندلس – بالشمول والتكامل .. **حضارة ثقافية وحضارة علمية وحضارة خلقية ، وحضارة اجتماعية أو عملية .**

فصفة العمق والشمول ..هذه هى صفة الحضارة الاسلامية التى تفتقد كل حضارة أخرى جانبا أو أكثر منها ، **فيصح وصف حضارة الاسلام الكاملة الشاملة ، وهى ذات أسس فريدة ، بأنها انسانية ، أى أنها لكل الناس من ناحية وأنها – من ناحية أخرى – ذات نظرة** صادقة للانسان الذى كرمه الاسلام .

ونعود الى الموضوع أساسا فنلقى بعض الأضواء الهامة على الحضارة من حيث المعنى ، والأصل ، والسمة ، والغاية ..

معنى الحضارة ..

اذا استنطقنا اللغة العربية وجدنا أن الحضارة تعنى فى العربية الاقامة فى الحضر أى فى المدن والقرى ، بخلاف البداوة ، وهى الاقامة المتنقلة فى الوادى .

أصل معنى الحضارة اذن هو الاستقرار ، ذلك الاستقرار الذى ينشأ عن زراعة الأرض ، والذى ينتج عن ذلك التطور بمجالاته المختلفة ، والتقدم فى اكتساب العيش ، وبناء المدن وقبل ذلك كله تحصيل المعرفة .

والواقع أن أبرز من تصدى لهذا الموضوع هو المؤرخ والفيلسوف الاجتماعى **عبد الرحمن بن خلدون** ، وهو أول من عالج فى العربية ، شئون الحضارة ، بصورة منظمة ، فى أية لغة من اللغات ، فاستحق أن يعتبر مؤسس علم الحضارات ، كما يقول قسطنين زريق فى كتابه **« فى معركة الحضارة »** .

وقد سمى ابن خلدون هذا العلم ، علم **« العمران البشرى والاجتماع الانسانى »** فالحضارة عند ابن خلدون هى طور طبيعى أو جيل من أجيال طبيعية فى حياة المجتمعات المختلفة على أن العنصر الأساسى فى الحضارة عند عبد الرحمن بن خلدون هو إنشاء المدن وبناء البلدان ..

ونحن لا نعنى بالحضارة مظاهر التقدم العلمى والصناعة والتكنولوجيا ، فذلك مشاع بين الأمم ، وإنما نعنى بالحضارة الأفكار والمبادىء « ايدلوجية » بتعبير العصر الحديث ، والتى تشكل الحياة بكل ما فيها من نظم وقوانين ، وسلوك وعادات ..

الحضارة الاسلامية

لقد ولدت الحضارة الاسلامية فى

مكة ، ومما لا ريب فيه أن محمدا ﷺ هو حامل لواء هذه الحضارة بمفهومها الواسع المتكامل ، وقد حمل هذا اللواء عن طريق الاسلام الى العالم أجمع ، والى الانسانية جمعاء ..

لقد كان ظهور الاسلام إيذانا بمولد الدولة العربية الاسلامية ، وأصبح العرب رسل الحضارة الاسلامية ، وقد دخلوا تاريخ الانسانية من أوسع أبوابه ، لقد عملت الدولة الاسلامية الوليدة على نشر الاسلام فكانت الفتوحات العربية الاسلامية ، فى عهد الخليفتين الأولين إبى بكر وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما ، فتم القضاء على الدولة الفارسية ، واستولى العرب المسلمون على الشام ومصر من الدولة البيزنطية ، بالحق والعدل .

ثم توالت الفتوح فى العصر الأموى ، فاستولى العرب على بقية شمال افريقية ، ثم غزوا القارة الأوروبية ، فاستولوا أيضا على شبه جزيرة ايبريا ، وجنوب فرنسا ، واستمر العرب فى غزو أوروبا ، حتى استولوا على جزر البحر المتوسط الأوروبية ، وايطاليا ، ونجحوا فى تثبيت أقدامهم ونشر الدين الاسلامى ، والحضارة الاسلامية فى أرجاء كثيرة من القارة الأوروبية ..

واذا ألقينا نظرة فاحصة على أوروبا قبل هذه الفتوحات نجد أنها كانت تسبح فى ظلام دامس ، وكانت باعتراف المفكرين الأوروبيين أنفسهم تعاني من التأخر ، وتئن من الفوضى ، وتتمزق من الظلم الفادح ..

وبعد أن تم نصر الله المبين للعرب فى هذه البلاد ، انتشرت الحضارة الاسلامية بعدلها وسماحتها ، لقد نشر العرب إذن فى أوروباحضارتهم ، وأبدلوا ظلام أوروبا بنور من العلم والمعرفة ، وأرسوا قواعد حكومة عادلة ، تحرص أول ما تحرص على تحقيق الحرية والعدل والمساواة وأصبح العرب أساتذة للأوروبيين ، يلقنونهم أسس الحضارة العربية الزاهرة .

ومن أراد المزيد فى هذا المجال فليرجع الى كتاب الدكتور على حسنى الخربوطلى « العرب فى أوروبا » .

بين حضارتين

لم يكن انتشار الحضارة الاسلامية أمرا سهلا أو ميسورا ، فمنذ اللحظة الأولى لظهور الاسلام فى مكة لقيت الحضارة الاسلامية مقاومة شديدة وحروبا شرسة ..

اتخذت أشكالا مختلفة وصورا متعددة ، شنتها قريش ..

فقد لاحق القرشيون المسلمين بالاضطهاد والتنكيل ، والايذاء ، فلم يحقق المسلمون آمالهم الواسعة ، فى الحياة الاجتماعية والسياسية الموحدة فى ظلال الحضارة الاسلامية الزاهرة التى أتى بها القرآن الكريم الذى توالى نزوله فى مكة المكرمة طوال ثلاث عشرة سنة ..

وكانت قريش فى هذا العداء إنما تعادى الاسلام كعقيدة لها نظمها ومثلها العليا ، كما كانت تدافع من خلال هذا العداء عن لونها الحضارى ، وعن كيانها الدينى والسياسى والاقتصادى والاجتماعى ، فأصبحت القضية عند قريش قضية مصير .. وأصبح الصراع – فى

حقيقته وجوهره – صراعا بين الحضارة الاسلامية ، وحضارة قريش ..

الصراع

لقد أصرت قريش على الدفاع عن حضارتها ، وقاومت الاسلام ، وما أتى به من حضارة ، ثم كانت الهجرة ، وهى انتقال بالحضارة الى أرض أكثر خصبا مما يحقق لها البقاء والنماء ، والانتصار والانتشار .

وأهالى المدنية من الحضر ، سكان المدن – تؤهلهم عقليتهم لتقبل عقيدة التوحيد والحضارة الاسلامية ، فهم يعيشون فى طور الزراعة ، ويميل المجتمع الزراعى عادة الى التعاون والى المحبة ، والى السلام .

وفى المدينة المنورة ، وبعد الهجرة ، بدأ تبلور الحضارة الاسلامية ، واتخاذها طابعها المميز المتكامل ..

فقد توالى نزول القرآن الكريم ، حاملا شرائع ومثلا عليا ، تهدى المسلمين الى حضارة زاهرة ونظما راقية فى السياسة والفكر الاقتصاد والاجتماع .

ولا عجب ... فالقرآن الكريم يهدى دائما الى التى هى أقوم ..

وبدأ الرسول ﷺ فى ارساء قواعد الحضارة الاسلامية ، وتطبيقها عمليا بتنظيم المجتمع الجديد الذى يحمل لواء هذه الحضارة فى داخل الجزيرة العربية وخارجها فبدأ عليه الصلاة والسلام بعقد المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ، ثم كانت الخطوة الثانية وهى تحديد العلاقات والحقوق والواجبات ، بين المسلمين وغيرهم من يهود المدينة ، وتحررت وثيقة تاريخية كانت فى الحقيقة أول إعلان رسمى لحقوق الانسان ، فقد قررت الحرية التامة فى الاعتقاد والرأى والعمل ، وهى ترسى قواعد السلام .

من سمات الحضارة الاسلامية

وللحضارة الاسلامية سماتها الخاصة ، فهى تهتم بالفرد والأسرة والمجتمع ، وتحقق التضامن والتكامل بين أفراد المجتمع ، وهى تنظم الحقوق والواجبات كما تعنى أيضا بالمرأة ، وترفع مكانتها وترد اليها حقوقها ، لتجعلها عضوا نافعا فى المجتمع ..

والاسلام يقيم المجتمع أصلا على الحرية ، وعلى المسئولية ، وعلى الشورى ، كما يقيم المجتمع على احترام العقل والنفس والنسب ، والمال ، وتقدير الفرد على أساس سليم من خلقه وعمله ، وليس على أساس نسبه أو حسبه أو طبقته .

الناس إذن فى الحضارة الاسلامية متساوون وهم يتميزون بعملهم وخلقهم وقيمهم .

« إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .

والاسلام دين يخاطب العقل والروح ، والعقيدة الاسلامية تجمع بين الدين والدنيا ، وتهتم بالجوانب الروحية والمادية معا فى توازن متكامل .. ومن أجل خير الفرد والجماعة معا ..

□ فى الحضارة الإسلامية

إننا نعنى بالحضارة الاسلامية ، كما يقول الدكتور **عبد الرحمن على الحجى** فى كتابه القيم « **الحضارة الاسلامية فى الأندلس** » – التنظيم الاسلامى القائم على العقيدة الالهية ، وقد أنشأت هذه الحضارة مجتمعا فريدا عظيما ، قدم ذلك الانجاز والانتاج الفكرى المتميز « النظرى والعملى » المتنوع الاتجاهات المتجانس الروح ، الموحد الهدف الذى أنبته الاسلام ورعاه ووجهه .

والاسلام هو الشرعة والمنهاج الذى أوصله الله – جلت قدرته – بفضله ورحمته ، إلى الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ، قائد هذه الأمة وعلى المسلمين الالتزام بها أمرا ونهيا : « ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون » .

الحضارة الاسلامية حضارة انسانية

والحضارة الاسلامية ، حضارة ثقافية وعلمية ، وفلسفية ، واجتماعية . فصفة الشمول والتكامل هى صفة الحضنارة الاسلامية التى تفتقد كل حضارة أخرى جانبا أو أكثر منها .

ومن ثم فحضارة الاسلام كاملة شاملة ، وهى بأسسها الفريدة ، ومثلها العليا ، ومضامينها السامية وغاياتها الكريمة ، حضارة إنسانية ذلك انها لكل الناس من ناحية ، ومن ناحية أخرى تنظر إلى الانسان نظرة صادقة تكرمه بها ، وتضعه فى مكانه الطبيعى باعتباره خليفة الله فى الأرض ، وعليه رسالة كبرى نحو مجتمعه بل نحو الانسانية جمعاء ..

والحضارة الاسلامية بهذه المفاهيم العميقة حضارة متميزة ، بعقيدة التوحيد ، وهى مرتبطة دائما وأبدا بالله عز وجل ، ونبيه المصطفى عليه الصلاة والسلام .

دورة الحضارة الاسلامية

والحضارة العربية الاسلامية من الحضارات الشاملة التى تأثرت بها شعوب مختلفة ، وقد لعبت هذه الحضارة دورها المجيد فى سير الحضارات الأخرى ، وتاريخ البشرية .. يقول « جوستاف لوبون » :

« لقد أنشأ العرب بسرعة حضارة جديدة ، كثيرة الاختلاف عن الحضارات التى ظهرت قبلها ، وتمكنوا بحسن سياستهم من حمل أمم كثيرة على انتحال دينهم ولغتهم وثقافتهم ، ولم يشذ عن ذلك أقدم الشعوب كالمصريين والهنود الذين رضوا أيضا بمعتقدات العرب وعاداتهم وفن عمارتهم .. » .

ويؤكد التاريخ أن حضارة العرب هى التى فتحت لأوروبا باب المعارف العلمية والأدبية والفلسفية التى كانت تجهلها وظلوا أساتذة لها طوال ستة قرون !! مدة طويلة من عمر الزمن أعطى المسلمون فيها العلم والمعرفة ، والعطاء والنماء ، والخير والفلاح للعالم أجمع .

معابر الحضارة الاسلامية

لقد اقتبس الغرب الكثير من الحضارة الاسلامية ، وخاصة فى النظم الحكومية ونظم الضرائب والاقتصاد ، وفى إنشاء المدارس والمعاهد والجامعات ..

وكان ذلك أساسا لعصر النهضة فى أوروبا . يقول « لوبون » إن تأثير الشرق فى حضارة

الغرب كان عظيما جدا نتيجة الحروب الصليبية ، وكان هذا التأثير فى الفنون والصناعات ، والتجارة واضحا « والحق أن هذا التأثير لم يكن كما يقول «لوبون » نتيجة للحروب الصليبية بل كان وليد عوامل كثيرة أخرى .

وذلك أن معابر الحضارة الاسلامية إلى أوروبا كثيرة ومعروفة ، وهى الأندلس وصقلية ويمكن أن يضاف اليها جنوب فرنسا ، وجنوب إيطاليا ، ومدارس الترجمة فى شمال أسبانيا ، وفرنسا وايطاليا .

والتجار المسلمون الذين ظلوا قرونا يتجرون بين البلاد الاسلامية ، وبين الكثير من البلدان الأوروبية والآسيوية وغيرها ، وكذلك الفتوحات الاسلامية ، وما نقله الفاتحون إلى المناطق التى وصلوا اليها ، فضلا عن الرحالة المسلمين الذين طافوا فى مختلف الأنحاء ، وكان لهم أثر فى نشر الاسلام أو نشر حضارته ومثله ..

حضارتهم وخلاصنا ؟

وتكاد تتمثل مفاهيم الحضارة الغربية فى الفصل بين الدين والدولة ، والانطلاق فى الحياة دون رابط ، على هوى الانسان ، وتأليه المادة أو تسييدها ...

فى كتاب « **حضارتهم وخلاصنا** » **للمهاتما غاندى** الزعيم السياسى والفكرى للهند يقول :

« إن الحضارة الحديثة ليس لها من الحضارة سوى الاسم ، فانها فى الواقع تدفع أوروبا إلى الهلاك يوما فيوما .. إن نتاج هذه الحضارة

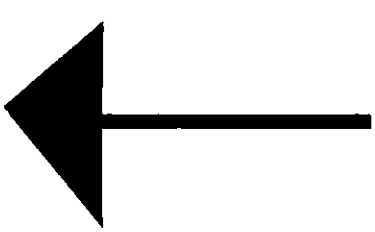

مؤلم ومؤسف معا .. إنها خواء .. لأنها تخلو من الروحية والعاطفة ، كما أنها تخلو من العطاء الانسانى ، وتربية الروح والخلق القويم . »

إن الدين أساس الحضارة الزاهرة العاقلة .. والدين خير مرشد للانسان الى طريق الحضارة والتطور والتقدم والنهضة .. ولنعد إلى الحضارة الاسلامية .

لقد ظل مد هذه الحضارة الاسلامية – كما يقول الدكتور عبد المنعم النمر فى كتابه (حضارتنا وحضارتهم) يكتسب كل يوم أرضا جديدة حتى تخلى المسلمون عن توجيهات الاسلام فتخلت عنهم خصائصهم ، وذبلت حضارتهم ، وتأخر ركبهم ، وكان ذلك دليلا جديدا على قوة فاعلية الاسلام فى صنع الحياة .

فضل الحضارة الاسلامية

إن المسلمين مطالبون بالتمسك بمقومات الحضارة الاسلامية التى عرف الأجانب لها قدرها واعترفوا بفضلها عليهم فأقبلوا ذات يوم عليها ينهلون منها ، ويرتوون من نبعها عندما أشرقت عليهم .

وتتداعى الخواطر وتتزاحم الذكريات .. عندما نتذكر الكتاب الذى وضعته المفكرة والفيلسوفة الألمانية الدكتورة « **زيجريد هونكه** » بعنوان « **شمس الله تشرق على الغرب** » وقد أكدت فيه فضل الحضارة العربية الاسلامية على الغرب .

لقد أسهم الاسلام فى الحضارة الانسانية إسهاما كبيرا ، وكان دور الحضارة الاسلامية

فى بناء حضارة اليوم عظيما .. وحضارة الغرب اليوم تقترب من الأفول .. فهى حضارة تدمير وحروب وانحلال وفساد ، فالانسان اليوم فى الغرب رغم ما وصل إليه من علم ومعرفة ، وقوة تحركه مصالحه وغرائزه ، وينسى فى ذلك عقله وروحه ومثله العليا ومسئولياته وانسانيته ..

رغم أن الحضارة تجسيد للنشاط العقلى عند الانسان ، وتاريخ الحضارة سجل حافل لتطور هذا العقل ومدى فعاليته فى مختلف نواحى الحياة ، فإننا فى حاجة ماسة الى حضارة عاقلة فعالة . حضارة تبنى وتعمر ، تجمع بين العقل والروح ، وبين الدنيا والدين ، تتجه إلى العمران ، وفى نفس الوقت تهتم أساسا ببناء الانسان .

حضارة تهتم بالفرد والأسرة والمجتمع .. حضارة تحقق التعاون والتضامن والتكامل بين أفراد المجتمع .. قديما أسهم الاسلام والمسلمون فى الحضارة الانسانية بنصيب واسع . وعلى المسلمين اليوم أن يستعيدوا دورهم المجيد حتى يتبوأوا مكانتهم فهل هم فاعلون ؟!

الدخل

أو "الرزق" - الوفرة المقيد بعمل الإنسان

د. حسن الحناف

تذكرة بما سبق تناوله :

١ - بدأنا بعرض الخطوط العامة والاتجاهات العريضة لصلة القرآن والسنة بالاقتصاد .

٢ - أحصينا كلمة (الرزق) التي هي عبارة عن الدخل وجمعنا نماذج من الآيات والأحاديث التي تتعلق بها .

٣ - شرحنا بعض الآيات الدالة على أن مصدر الرزق هو الله سبحانه وتعالى مع ذكر بعض الأحاديث الشريفة .

٤ - استخرجنا النصوص الدالة على الوفرة وصنفناها إلى اتجاهات تجاوزت العشرة ، وتكلمنا عن الاتجاه الأول منها وهو الوفرة المطلقة في الرزق من حيث المبدأ .

٥ - تناولنا الاتجاه الثاني في وفرة الأرزاق ، وهو اتجاه خاص بتقييد الوفرة بالتقدير من الله سبحانه .

٦ - وموعدنا في هذا المقال مع الاتجاه الثالث في موضوع وفرة الرزاق وهو : (الوفرة المقيدة بقدرة الإنسان وإمكاناته)

بين الله ورسوله في القرآن الكريم والسنة المطهرة للأمة أن وفرة الأرزاق والأقوات من حيث المبدأ مضمونة من قبل الخالق العظيم الذي استخلف الإنسان على هذا الكوكب ، وقد قدمنا النصوص الدالة على هذه الحقيقة في المقال الأسبق تحت عنوان : (**الوفرة المطلقة**) .

وكانت الخطوة التالية في المقال السابق هي أن هذه الوفرة الهائلة التي تتسع لأضعاف حاجات الإنسان في حد ذاتها ، خلقها الله وأوجدها وفق نظام دقيق وتقدير حكيم ، بيناها تحت عنوان : (**الوفرة المقيدة بالتقدير والحكمة**) .

وفي هذا المقال خطوة جديدة تتعلق بالإنسان وصلته بالوفرة من حيث إمكاناته وقدراته نقدمها الآن ، تحت عنوان : (**الوفرة المقيدة بقدرة الإنسان وإمكاناته**) .

وهذه الإمكانات والقدرات الإنسانية التي وهبها الخالق سبحانه لعباده من أبناء آدم متعددة الجوانب

■ الـــدخـــل

الرزق.. الوفرة المقيدة بعمل الإنسان

بحيث تتمكن من مواجهة ضرورات الحياة المختلفة ، فهى قد تكون عقلية أو عاطفية أو إدارية أو نفسية أو وجدانية وقد تكون عضلية مادية .

وأيًا ما كان وضعها أو وصفها فقد شاء الله بفضله أن يمنحها نعمة الحرية فى الفكر واتخاذ القرار والإرادة والمشيئة والعمل بالتنفيذ والسلوك دون أى عائق يحجب حرية الإنسان فيما يريد إبرامه وتنفيذه ، ما دام يتحرك فى الإطار والمجال المحددين لمواهبه التى منحت له من خالقه العظيم اختبارا وبلاء .

« تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير ، الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور »[1].

ولن تتم قضية الابتلاء والاختبار على وجه صحيح إلا بالحرية الحقيقية فى مجال الاختبار مشيئة وسلوكا . ومن هنا حرصت نصوص الوحى على تأكيد الحريةللمخلوقين بوضوح وحسم لا يحتملان التأويل .

قال تعالى : **« تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ، منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ، ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد »**[2].

ويلاحظ أن كلمة (**لكن**) تكررت فى هذه الآية الكريمة مرتين ، وسجلت الآية موقفين للمشيئة الإلهية قبل لكن ، وموقفين بعدها .

الموقف الأول افتراضى وهو قوله تعالى : **« ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم »** فمع قدرة الله على منع اقتتالهم لم يشأ سبحانه ذلك المنع فوقع الاقتتال ، وهذا الموقف مسجل فى الآية قبل (لكن) .

الموقف الثانى :

تأتى (**لكن**) لتقرر الموقف الثانى وهو الموقف الواقعى والفعلى للمشيئة الذى هو اختلافهم على الايمان والكفر **« ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر »** أى أن الله سبحانه إذ لم يشأ منع الاقتتال فقد شاء بالفعل منح عباده حرية الاختلاف .

ثم يأتى الموقفان الثالث والرابع فى قوله تعالى : **« ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد »** ومع تماثل هذين الموقفين مع سابقيهما إلا أن هناك ملحظا على جانب كبير من الأهمية نلحظه إذا جمعنا ما بعد (**لكن**) الأولى ، وما بعد (**لكن الثانية**) حيث تصبح الآية الكريمة نصا مباشرا فى أن حرية الإنسان فى مجال الإيمان والكفر هى نفسها الفعل الذى أراده الله . ذلك أن ما بعد (**لكن**) الأولى هو : **« ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر »** وما بعد لكن الثانية هو : **« ولكن الله يفعل ما يريد »** بمعنى أن الجملتين الكريمتين عبرتا عن شىء واحد ولكن من زاويتين مختلفتين مقصودتين . ذلك أنهما معا يوضحان أمرين :

أولهما : حرية الإنسان .

وثانيهما : أن مشيئة الله نافذة وغير معطلة حين تكفل للإنسان حريته ، لأن مشيئة الله النافذة والغالبة هى التى أرادت بالحكمة والعدل والرحمة أن يكون الناس على هذا النحو فى الاختيار الحر المعبر عن وجهات النظر وشتى المسالك . فليس هناك حيف على حرية الإنسان ، كما أنه فى نفس الوقت لا توجد أدنى شبهة فى نفاذ مشيئة الله سبحانه .

تلك معادلة جلاها القرآن الكريم فى نصف الآية الأخيرة التى ذكرناها حيث عرضت فيه قضية واحدة مرتين من خلال اعتبارين :

الأول :

اعتبار المشيئة البشرية واختيارها : **« ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر »** .

الثـــانى :

اعتبار المشيئة الخالقة لهذه المشيئة وما تختار : **« ولكن الله يفعل ما يريد »** .

ولأنها قضية واحدة كان صدر الاعتبارين متحدا :

« ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم » .

« ولو شاء الله ما اقتتلوا » .

□ إن مشيئة الله نافذة ، وغير معطلة حتى تكفل للإنسان حريته.

فإذا كانت هذه المقدمة المتحدة — قبل لكن — تثبت قدرة المشيئة الربانية على ترجيح فعل الممكن المفترض مع عدم تحقيقه بالفعل ، فإن ما بعد لكن يفيد أمرين :

الأول :

أنه لا يحدث فى ملك الله إلا ما يريد « **ولكن الله يفعل ما يريد** » .

والثانى :

أن هذا المراد لله هو أن تكون مشيئة الناس شتى « **ولكن اختلفوا** » .

وذلك هو عين الكمال ، وفيه التوفيق والصواب والتنسيق الكامل بين العدل فى مسئولية العباد ، مع نفاذ المشيئة العليا وهيمنتها على كل ما فى الوجود[٣] .

وعلى ذلك الأساس الواضح كان أمرا محتوما أن تُرَدَّ الوفرة فى الأرزاق إلى قدرات الإنسان وإمكاناته بعد أن أتاحها الله وسخرها ، وتلك هى الرحمة والعدالة .

فما لا تطوله قدرة الإنسان تولى الله سبحانه خلقه وإيجاده وتسخيره وما تطوله قدرة الإنسان وتدركه مشيئته وهب الله للإنسان حرية التصرف فيه كما يشاء ، ثم تأتى بعد ذلك كله المساءلة والجزاء فى الوضع الفطرى بالحق والعدل والحكمة .

إن جانبا من جوانب الوفرة فى الرزق شاء الله سبحانه أن يكون فى نطاق القدرة الإنسانية ، وهذا الجانب وحده هو مناط التكليف بل والتكريم للإنسان لما يستلزمه التكليف من حرية وثقة فى هذا المخلوق الذى كرمه الله .

وعلى هذا الضوء يمكننا أن نستعرض النصوص القرآنية والنبوية التى تربط بين العمل الإنسانى وبين الوفرة فى رزق الله له .

قال تعالى : « **وما تفعلوا من خير يعلمه الله ، وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولى الألباب ، ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم** »[٤] .

قال العوفى عن ابن عباس : « كان أناس يخرجون من أهليهم ليست معهم أزودة .

يقولون : نحج بيت الله ولا يطعمنا ؟

فقال الله : تزودوا ما يكف وجوهكم عن الناس » .

وقال ابن أبى حاتم — بسنده — عن عكرمة : إن ناسا كانوا يحجون بغير زاد فأنزل الله : « وتزودوا فإن خير الزاد التقوى »[٥]

وأما قوله تعالى : « ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم » فقد قال **الإمام البخارى بسنده عن ابن عباس قال** : كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقا فى الجاهلية فتأثموا أن يتجروا فى الموسم فنزلت : « **ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم** »[٦] — أى — فى مواسم الحج .

وعن ابن عباس أيضا قال : « كان متجر الناس فى الجاهلية عكاظ ومجنة وذو المجاز فلما كان الإسلام كأنهم كرهوا ذلك حتى نزلت هذه الآية »[٧] .

وعن مجاهد عن ابن عباس قال : « كانوا يتقون - البيوع والتجارة فى الموسم والحج ، يقولون : أيام ذكر .

فأنزل الله : (**ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم**)[٨] .

ولفظ رواية أبى داود عن ابن عباس : « كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون ويقولون : نحن المتوكلون . **فأنزل الله** : « **وتزودوا فإن خير الزاد التقوى** »[٩] .

وقال تعالى :

« **وآية لهم الأرض الميتة أحييناها ، وأخرجنا منها حبًّا فمنه يأكلون ، وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون ، ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم . أفلا يشكرون** »[١٠] .

اختار ابن جرير — بل جزم به ولم يحك غيره إلا احتمالا — أن ما فى قوله تعالى : « **وما عملته أيديهم** » بمعنى (**الذى**) تقديره ليأكلوا من ثمره ومما

□ صلة القرآن والسنة بالقواعد الاقتصادية

عملته أيديهم ، أى غرسوه ونصبوه . قال : وهى كذلك فى قراءة ابن مسعود رضى الله عنه[11] .

وقال القرطبى :

« وما عملته أيديهم » « ما » فى موضع خفض على العطف على « من ثمره » أى ومما عملته أيديهم . وقرأ الكوفيون « وما عملت » بغير هاء .....

ثم قال : ويجوز أن تكون ما نافية ... وهذا قول ابن عباس والضحاك ومقاتل .

وقال غيرهم :

المعنى ومن الذى عملته أيديهم من الثمار ، ومن أصناف الأطعمة ، ومما اتخذوا من الحبوب بعلاج كالخبز والدهن المستخرج من السمسم والزيتون . وقيل : يرجع ذلك إلى ما يغرسه الناس ، وروى معناه عن ابن عباس أيضا[12] .

وإذا كان النص المتقدم من سورة البقرة يدل على إباحة التكسب بالعمل والتجارة فى موسم الحج بل ويحض عليه ، ويرغب فيه ، ويحذر الناس من الكسل والتواكل والدعة تحت شعار التواكل .

فإن هذا النص من سورة يس ، يضع العمل الإنسانى فى مكان مقدم يشعر بضرورته للحياة والأحياء ، حيث جعله تابعا للقدرة الإلهية ذاتها ، وذلك واضح أبشد الوضوح فى قوله تعالى « **وفجرنا فيها من العيون ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم** » وقد سلف بيان الآراء المعتبرة فى تفسيره .

وعلى ذلك فأى (وفرة) ترجى أو تبتغى فى الأقوات والأرزاق تتوقف على شرط الجد والانتاج والعمل .

ومن هذا المنطلق نفسه ، وضعت نصوص الوحى العمل والسعى لاكتساب الرزق جنبا الى جنب مع العبادات كما تقدم فى ابتغاء الفضل أثناء فريضة الحج .

وأيضا كقوله تعالى فى سورة الجمعة :

« **فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله** »[13] .

يقول **الإمام ابن كثير** :

أذن الله لهم بعد الفراغ من الصلاة فى الانتشار فى الأرض ، والابتغاء من فضل الله ، كما كان عراك بن مالك رضى الله عنه إذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد فقال : « اللهم إنى أجبت دعوتك ، وصليت فريضتك ، وانتشرت كما أمرتنى ، فارزقنى من فضلك وأنت خير الرازقين »[14] — ومما يدل على إدراك الأقدمين لعناية الاسلام بطلب الرزق إلى جوار العبادة ما روى عن بعض السلف :

« من باع واشترى فى يوم الجمعة بعد الصلاة بارك الله له سبعين مرة لقول الله تعالى : « **فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله** » .

ولهذا جاء فى الحديث :

« **من دخل سوقا من الأسواق فقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له . له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير ، كتب الله له ألف ألف حسنة ، ومحا عنه ألف ألف سيئة** »[15] .

ومن هذا القبيل فى التوازى بين السعى للرزق والعبادة قوله تعالى :

« **فإذا فرغت فانصب ، وإلى ربك فارغب** »[16] .

قال ابن كثير :

أى إذا فرغت من أمور الدنيا وأشغالها وقطعت علائقها فانصب إلى العبادة وقم إليها نشيطا فارغ البال ، وأخلص لربك النية والرغبة[17] . اهـ .

نقول : ولا يتم فراغ البال بالمعنى الذى ذهب إليه ابن كثير إلا بطمأنينة الساعى بعمله لاكتساب الرزق على استيفاء كفايته لحاجته منه . ولذلك فقد استأنس لرأيه هذا بذكر الحديث المتفق على صحته وهو قوله ﷺ :

« **لا صلاة بحضرة طعام ولا وهو يدافعه الأخبثان** » . وقوله ﷺ : « **إذا أقيمت الصلاة وحضر العَشَاءُ فابدءوا بالعَشاء** » .

ثم ذكر ابن كثير ما ذهب إليه مجاهد فى هذه الآية بقوله :

« إذا فرغت من أمر الدنيا فقمت إلى الصلاة فانصب لربك »[18] .

وخلاصة الآراء التى رجحها الإمام ابن كثير فى تفسيره لهاتين الآيتين الكريمتين تقتضى بأن السعى على الرزق يكون بالإجادة والإتقان بحيث تظهر الثمرة المرضية للعمل حتى إذا فرغ منه واتجه إلى العبادة كان خالى الذهن من المنغصات التى تعكر عليه صفو العبادة .

وقال تعالى : **« هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور »**[19] .

أى فسافروا حيث شئتم من أقطارها ، وترددوا فى أقاليمها وأرجائها فى أنواع المكاسب والتجارات ... **« وكلوا من رزقه »** فالسعى فى السبب لا ينافى التوكل .. لقوله ﷺ :

« لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير ، تغدو خماصا ، وتعود بطانا »[20] . فأثبت لها رواحا وغدوا لطلب الرزق مع توكلها على الله عز وجل ، وهو المسخر المسير المسبب .

قال ابن عباس وقتادة ومجاهد والسدى :

مناكبها : أطرافها ، وفجاجها ، ونواحيها[21] .

وقال تعالى : **« وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس »**[22] .

قال المفسرون[23] : **« فيه بأس شديد »** يعنى السلاح كالسيوف والحراب والسنان والنصال والدروع ونحوها .

ونقول : ومن البأس الشديد فى الحديد الذى ينفع الناس الأساسات والأبنية والأسقف المسلحة بالحديد ، والصناعات الثقيلة وآلاتها والأجهزة المنزلية المتنوعة الخاصة بالخدمات المتعددة ونحوها ..

وفى قوله تعالى : « ومنافع للناس » يقول ابن كثير :

أى فى معايشهم ، كالسكة ، والفأس ، والقدوم ، والمنشار ، والأزميل والمجرفة والآلات التى يستعان بها فى الحراثة والحياكة والطبخ والخبز وما لا قوام للناس بدونه . ثم ذكر أثرا **عن ابن عباس يقول فيه :**

« ثلاثة أشياء نزلت مع آدم ، السندان ، والكلبتان ، والمِيقَعَة — يعنى المطرقة — »[24]

والمستفاد مما تقدم أن الله سبحانه يمتن على عباده بذكر هذه المنافع التى ترتبط ارتباطا وثيقا بأسلوب استيفائهم لاحتياجاتهم ، والحصول على ما يبتغونه من أرزاق وخدمات وسلع عن طريق السعى الجاد ، والجهد القوى والعمل الدءوب المتواصل ، فهى وسائل مسخرة ومتاحة بين السعى على تحصيل الأرزاق والمطالب ، فالوفرة هنا فى الرزق مشروطة باستخدام بأس الحديد فى توفير المنافع .

وإذا كان الحديد وبأسه الشديد وسيلة مناسبة — بل هو أنسب الوسائل — لشق الأرض واستخراج ما فيها من خيرات (البترول) والمعادن ، فلنتأمل على ضوء هذا الواقع الملموس مثل قول رسول الله ﷺ :

« ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبى الله داود كان يأكل من عمل يده »[25] . **ومثل قوله** ﷺ :

« التمسوا الرزق فى خبايا الأرض » .

ومثل قوله ﷺ :

« إن الله يحب العبد التقى الغنى الخفى »[26] .

ومثل قوله ﷺ :

« إذا قامت القيامة وفى يد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن يغرسها فليغرسها » .

ومثل قوله ﷺ :

« إن الله تعالى يلوم على العجز ، ولكن عليك بالكيس ، فإذا غلبك أمر فقل : حسبى الله ونعم الوكيل »[27] .

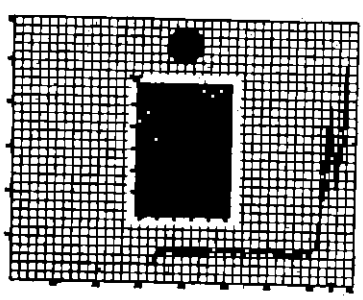

والعجز هو : التقصير والتهاون فى العمل .

والكيس هو : العمل باليقظة والحذر والحزم مع التسليم لله سبحانه إذ ليس من التوكل على الله إغفال الحزم .

وهكذا نرى بوضوح شديد أن القرآن الكريم والسنة المطهرة يرشدان الإنسان معاً إلى الطريق الصحيح والأسلوب السوى فى تحصيل الوفرة فى الأرزاق ، ومعنى ذلك أن الإنسان الذى لا يستعمل هذه الإمكانات والقدرات التى وهبها الله وأتاحها له كى يستعملها فى السعى والتحصيل لا يختلف فى قليل أو كثير عن إنسان يريد أن يبصر وهو مغمض عينيه ، أو يسمع وهو يحكم سدَّ أذنيه .

إن العمل والجهد الإنسانى جزء لا يتجزأ من عناصر تحصيل الوفرة التى ضمن الله وجودها لعباده . ولكنه سبحانه جعل شرطا من شروطها بل ركنا من أركانها أن يسعى خلقه لتحصيلها .

ومن هنا فهى وفرة مشروطة باستخدام الانسان لنعمة إمكاناته العقلية والعضوية التى منحت له من عند الله رب العالمين .

ومن هنا يتبين موقع (العمل) ومركزه فى الاقتصاد الاسلامى دون دخول مباشر فى الأدلة الكثيرة الخاصة بمنزلة العمل فى الإسلام . ويكفى أن نقول :

إنه بدون العمل الجاد ، والجهد الصادق لن يستطيع الإنسان تحقيق الوفرة التى تغطى احتياجاته كمؤمن يتحلى برسالة الإسلام وعقيدة الإيمان .

هوامش المقـــــال

(١) سورة الملك ١ .
(٢) سورة البقرة : ٢٥٣ .
(٣) التنمية الذاتية والمسئولية فى الإسلام ص ٢٣٥ . د. حسن العانى .
(٤) سورة البقرة :
(٥) المفسر المحدث الإمام ابن كثير حـ ١ ص ٢٣٨ . وقد نقل عن ابن أبى حاتم قوله : « هذا الحديث رواه : ورقاء عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس . قال : وما يرويه عن ابن عيينة أصح أى برواية عمرو عن بن عيينة وقد رواه ابن جرير . ثم يعلق ابن كثير فيقول : قلت : حديث ورقاء أخرجه البخارى عن يحيى بن بشر ، وأبو داود بطريق عمرو بن دينار ، وآخرون .. (بتصرف يسير) .
(٦) رواه البخارى وغيره .
(٧) رواه ابن جرير .
(٨) رواه أبو داود وغيره من حديث يزيد بن أبى زياد .
(٩) انظر الفقرة (٢) من الهامش أعلاه .
(١٠) سورة يس : ٣٥ .
(١١) انظر ابن كثير فى تفسيره هذه الآيات حـ ٣ ص ٥٧٠ .
(١٢) القرطبى فى تفسيره ص ٥٤٦٩ طبعة الشعب .
(١٣) سورة الجمعة . ١٠ .
(١٤) رواه ابن أبى حاتم وذكره الإمام ابن كثير والقرطبى فى تفسيريهما لسورة الجمعة .
(١٥) هذا الحديث والأثر الذى قبله ذكرهما الإمام ابن كثير فى تفسيره لسورة الجمعة حـ ٤ ص ٣٦٧ .
(١٦) سورة الانشراح : ٧-٨ .
(١٧) تفسير ابن كثير حـ ٤ ص ٥٢٦ .
(١٨) المرجع نفسه .
(١٩) سورة الملك : ١٥ .
(٢٠) رواه أحمد والترمذى والنسائى و بن ماجه ، وقال الترمذى حسن صحيح .
(٢١) تفسير ابن كثير حـ ٤ ص ٣٩٨ .
(٢٢) سورة الحديد : ٢٥ .
(٢٣) أنظر ابن كثير والقرطبى وغيرهما فى تفسير سورة الحديد .
(٢٤) رواه ابن جرير ، وابن أبى حاتم .
(٢٥) رواه الإمام أحمد والبخارى عن المقدام . [الجامع الصغير حـ ٢ ص ٢٤٢] .
(٢٦) رواه الإمام أحمد عن سعد بن أبى وقاص وهو حديث صحيح [الجامع الصغير حـ ١ ص ١٢٧] .
(٢٧) رواه أبو داود عن عوف بن مالك .

جمال الدين الأفغانى ومنهاج الإعلام الإسلامى!

د . محيى الدين عبد الحليم

« ومن يُسلم وجهَه إلى الله وهو مُحسن فقد استمسك بالعروة الوثقى وإلى الله عاقبةُ الأمور » (صدق الله العظيم)

إذا كانت الصحافة هى واحدة من أبرز وسائل الاعلام والإتصال الجماهيرى وهى التى تلعب أخطر الأدوار فى تشكيل الرأى العام ، وتعكس اتجاهاتهُ وميولَهُ .

وإذا كان « جمال الدين الأفغانى » هو واحدٌ من أبرز رجال الفكر فى العصر الحديث الذين تركوا بصماتهم القوية على كثير من مناحى الحياة فى العالم الإسلامى .

فإن أحداً لا يكاد يختلف معنا فى أن المهمة التى أخذها هذا الداعية الإسلامى الكبير على عاتقه كانت مهمة إعلامية بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى ، وأن « جمال الدين الأفغانى » يعتبر بأى مقياس – رائداً من رواد الإعلام الإسلامى ، وأن عروته الوثقى التى أقلقت مضاجع الاستعمار وحاربت الظلم والاستبداد فى كافة صوره تعتبر إحدى مدارس الإعلام الإسلامى التى يجب أن يحفل بها الدارسون والضاربون فى حقل الدراسات الإعلامية والمهتمون بهذا الفرع الحيوى من فروع العلم والمعرفة .

جمال الدين الأفغانى والاعلام الإسلامى

وقد نهج **الأفغانى** فى عمله الإعلامى بصحيفته التى تعتبر نقطة تحول هامة فى تاريخ الصحافة المصرية منهجاً صحفياً ملتزماً فى ذلك المبادىء التالية :

أولا : تحقيق عالمية الدعوة الإسلامية :

فلم تتوجه العروة الوثقى إلى مجتمع إسلامى دون آخر ولم تحصر نفسها داخل حدود أو حواجز سياسية أو طبيعية فكان الرجل يؤمن أن العالم الإسلامى أمة واحدة ، وأن مشاكله واحدة وأن الشرف لن ينهض ويستيقظ من غفوته إذا لم يتحد وينفض عن نفسه غبار الجهل والتخلف والفقر والاستعمار بكافة أشكاله ، فكانت « **العروة الوثقى** » تخاطب العالم الإسلامى فى كل صوب وحدب ملتزمة فى ذلك بقول الحق جل وعلا مخاطباً نبيه ورسوله « وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون » مؤكداً فى ذلك أن الإسلام هو الدعوة العالمية الكبرى التى بعث الله بها رسوله ﷺ لتكون نظام الإنسانية الكامل فى حياتها الروحية والمادية ، فى كل زمان ومكان .

ثانيا : شمولية الدعوة الاسلامية :

إذا كان كثيرٌ من العاملين فى أجهزة الأعلام والمهتمين بدعوة الإسلام يتصورون أن الإعلام الإسلامى يجب أن ينحصر فى دائرة ضيقة لا يتعداها وإن مجال نشاط دعاة الإسلام ينحصر فى مجال العبادات الاسلامية والقضايا الدينية البحتة مثل التعريف بمناسك الحج ، والحكمة من صوم رمضان ، ومقدار الزكاة المقررة على كل مسلم ، والإدراك بالفتاوى الدينية اللازمة لمثل هذه الأمور ، مما يترتب عليه تقوقع رجال الإعلام الاسلامى فى المساجد ودور العبادة .

فقد أثبت « **جمال الدين الأفغانى** » أن رسالة الإسلام رسالة شاملة جامعة منظمة لحياة المسلمين فى شتى المجالات ، رسالة لم تترك صغيرة ولا كبيرة إلا وتطرقت اليها ابتداء من وضع أصول الحياة الأسرية إلى إعداد الجيوش وتنظيم اقتصاديات المسلمين ، ذلك أن كتاب الله هو بمثابة دستور شامل يصوغُ أسلوب الحياة للمجتمع المسلم ويعالج جميع قضاياه ، وفى هذا يقول الله عز وجل « **ما فرطنا فى الكتاب من شىء** » ويؤكد ذلك بقوله تعالى « **إنا أنزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شىء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين** » وهذا يفرض على رجال الإعلام الإسلامى ألا يحصروا نشاطهم فى مجال العقائد والعبادات والفتاوى . وقد نهجت « **العروة الوثقى** » هذا المنهج منذ صدورها ، انطلقت من منطلق إسلامى وخاضت فى مختلف القضايا التى تهم المجتمع المسلم ، فعالجت القضايا السياسية والاجتماعية والثقافية والدينية ، وعملت على إيقاظ المسلمين من غفوتهم ، وحثهم على إصلاح أحوالهم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، ودفعتهم دفعا إلى التصدى للمستعمرين الذين يغتصبون ثروات بلادهم ويستغلون أبناءهم ويدمرون مستقبلهم .

ثالثاً : البساطة والوضوح فى عرض الأفكار والتعليق عليها :

أدرك « **الأفغانى** » أن التكلف والتعقيد فى عرض الأفكار لن ينتج عنه تفاعل بين الرسالة الإعلامية ومستقبليها ، وأن السبيل الوحيد لإحداث هذا التفاعل والوصول إلى قلوب الجماهير لن يتأتى إلا بتبسيط الفكرة وتقريبها إلى أذهان الناس ، فلم يلجأ الرجل الى سجع متكلف أو محسنات مرذولة أو ألفاظ مبتذلة جوفاء ، ولم يُكثر من المجازات والإستعارات التى تخفى المعانى وتظهر الأغراض وتأخذ بصاحبها عن سوء القصد وتبعده عن الهدف ، والمتتبع لمقالات الأفغانى فى العروة الوثقى لا يلحظ بها عبارات أو ألفاظ غامضة أو استعراض لمهارة لغوية أو بعد عن الواقع والتحليق فى أجواء خيالية فكانت تصاغ المقالات فى قالب جذاب يتناسب مع أفهام الجماهير وقدراتهم . ملتزمة فى ذلك بنصيحة رسول الله ﷺ فى حديثه الشريف « يسروا ولا تعسروا » .

ذلك أن رسالة الإسلام نفسها رسالة بسيطة سهلة الفهم والتناول تخاطب الجميع بقدر عقولهم وتعكس الواقع الفعلى الذى يعيشه الناس ، حملها رجل أمى كان يعيش وسط قومه كما يعيش بقية الناس ، وفى ذلك يقول الحق جل وعلا « هُوَ الذى بعثَ فى الأميين رَسولًا منهم يتلو عليهم آياتِه ويُزَكيهم وَيُعلّمهم الكتابَ والحكمةَ » وقد نهج الحق تبارك

« ومن يُسلم وجهَهُ إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى وإلى الله عاقبة الأمور »

(صدق الله العظيم)

وتعالى هذا النهج مع سائر الرسل فكان يبعث فى كل أمة رسولا منهم ليكون أقدر على فهمهم وإفهامهم فى خلال معايشته لهم وفى ذلك يقول تبارك وتعالى « وَمَا أرسَلْنا من رَسُول إلا بلسان قَومه ليبيِّن لهم » ، ويعلل المستشرق « **جوستاف لوبون** » فى كتابه (**حضارة العرب**) والمستشرق « **دوزى** » فى كتابه (**نظرات فى تاريخ الإسلام**) الانتشار السريع للإسلام لسهولة هذا الدين ويسره وخلوه من المتناقضات والغوامض ما يجعل **كلُّ مسلم يستطيع أن يعرف أصول الإسلام فى بضع** كلمات سهلة ، وإذا كانت رسالة الإسلام بطبيعتها رسالةُ بسيطة ميسرة سهلة الفهم والتناول فإن الداعية الذى يلبسها ثوب التعقيد والغموض يخرج بها عن جوهرها . وعرف **الأفغانى** مشكلة الشرق الإسلامى ومأساته فلم يتناول فى صحيفته إلا ما يهم شعوبه ولم يعالج إلا ما يعترضه من مشاكل ، وكان الاستعمار هو الداء العضال والعقبة الكؤود التى تقف فى طريق تقدم شعوبه ونهضة أمته فشن عليه حملة شعواء أقلقت مضاجعه وأفزعت قادته وشلت تفكيره .

رابعاً : الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة :

إلتزم **الأفغانى** فى كافة مقالاته وأحاديثه فى العروة الوثقى بالمنهج القرآنى الذى تجلى فى قوله تعالى « **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن** » فلم نلمس فى مقالة من مقالاته خروجاً عن ما أمر به الله على الرغم من قسوة المحتل الأجنبى للبلاد ونهبه لثرواتها وتسخيره لأهلها واذلاله لشعوبها ، وقد رأينا القرآن الكريم يخاطبُ موسى وهارون ويوصيهما بمهادأة الطاغية فرعون باللين والحسنى فيقول عز من قائل :« **اذْهَبا إلى فِرْعَونَ إنه طغى فقولا له قولاً ليناً لَعلَّهُ يَتذكرُ أو يَخشَى** » ، وتؤكد اللفتات القرآنية والإثارات النبوية إلى الرفق ومجانبة الغلظة والشدة ، وهذا يؤكد بما لا يحتمل شكا فاعلية هذا الأسلوب وقدرته التأثيرية . والتزمت **العروة الوثقى** فى ذلك بالموضوعية الكاملة فى عرض الحقائق دونما تهويل أو مبالغة أو إثارة وقتية وسريعة ، ولكنها كانت تخاطب العقل وتستند الى المنطق وتقرع الحجة بالحجة .

خامسا : معالجة قضايا المجتمع الاسلامى العقلية .

ولم تحلق **العروة الوثقى** فى أجواء خيالية ولكنها خاضت فى المشاكل وتناولت الأوضاع التى كان يعانى

جمال الدين الأفغانى والاعلام الإسلامى

منها المجتمع المسلم آنذاك والتى تمس بشكل مباشر حياة الجماهير وتعالج قضاياهم الفعلية وتخوض فى أحوالهم وشئونهم المعاصرة مع الاختيار الزمنى المناسب لكل قضية من هذه القضايا والابتعاد عن الخوض فى أحداث ليس لها وجود بين الجماهير آنذاك وفى هذا يقول **الأفغانى** :

« .. لقد جمعت ما تفرق من الفكر ، ولمعت شعث التصور ، ونظرت الى الشرق وأهله ، فاستوقفتنى الأفغان ، وهى أول أراض مس جسمى ترابها ، ثم الهند وفيها تثقف عقلى ، فإيران بحكم الروابط والجوار فجزيرة العرب من حجازها مهبط الوحى ، ومن يمن وتابعتها ، ونجد ، والعراق وبغداد وهارونها ومأمونها ، والشام ودهاة الأمويين فيها ، والأندلس وحمراؤها ، وما آل إليه أمرهم . فالشرق الشرق ، فخصصت جهاز دماغى لتشخيص داله ، وتحرى دوائه ، فوجدت أقتل أدوائه داء انقسام أهله ، وتشتت آرائهم ، واختلافهم على الاتحاد ، واتحادهم على الاختلاف ، فعملت على توحيد كلمتهم ، وتنبيههم للخطر الغربى المحدق بهم » .

سادسا : ضرورة الاعلام الاسلامى :

أدرك **جمال الدين الأفغانى** أن الأعلام الاسلامى ضرورة وعبادة كلف الله بها كلّ مسلم عاقل ، بل أننا إذا استعرضنا القرآن الكريم فإننا لن نجد فيه من الحث على الصيام الذى هو ركن من أركان الاسلام مثلما نجد من الحث على الدعوة الى الله والتذكير والعظة والإنذار بسوء العاقبة لمن يقعد عن القيام بهذا الواجب الذى من أجله بعث الله الرسل مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، بل أن المهمة الإعلامية هى التى ميز الله بها أمة الاسلام عن سائر الأمم الأخرى وذلك انطلاقاً من قوله عز وجل « **كنتم خيرَ أمةٍ أخرجت للناس تأمرونَ بالمعروفِ وتنهَونَ عن المنكر** » .

ولن يتأتى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر الا حينما يأخذ كل مسلم على عاتقه أداء المهمة الاعلامية التى كلفه بها ربه والتى تتمثل فى الدعوة اليه والتى فضل الله بها هؤلاء الذين يتصدون لها وميزهم وقربهم عمن سواهم وفى ذلك يقول عز من قائل « **ومَنْ أحْسَنُ قولاً ممن دعا إلى الله وعَمِل صالحاً وقال إنّنى من المُسْلمين** » .

أدرك **الأفغانى** هذه الحقيقة فوهب نفسه وعلمه وحياته لتحمُّل هذه الأمانة وعدم التفريط فيها أو التقاعس عن تحمل مسئوليتها حتى لا يفقد مكانته عند خالقه .

بل إن التقصير فى الاعلام برسالة الاسلام يعنى عدم الامتثال لأوامر الله عز وجل وهذا يثير بغضب منه وسوء عاقبة يؤكد ذلك قوله تعالى « إن الذينَ يكْتُمونَ ما أنْزَلْنا من البيِّناتِ والهُدى مِن بَعْد مَا بيَّناهُ لِلنّاسِ فى الكِتَابِ أولئِك يَلْعَنُهُم الله وَيَلْعَنهُم اللاعِنون إلّا الذينَ تابُوا وأصْلَحوا فأولئك أتوب عليْهِم وأنا التوّابُ الرّحيم » .

وباستعراضنا لحياة جمال الدين الأفغانى منذ أن غادر مسقط رأسه الى أن توفاه الله سنجد أنه كان بمثابة جهاز إعلامى متكامل توجه بعروته الوثقى التى تركت آثاراً عميقة فى تاريخ الصحافة الاسلامية وتاريخ الشرق الإسلامى على الرغم من قصر المدة التى صدرت فيها .

★ **سئل الشعبى عن مسألة فقال** : لا أعلم .

فقيل : ألا تستحى وأنت فقيه العراقيين ؟

قال : ولم أستحى مما لا تستحى منه الملائكة حين قالت : « لا علم لنا إلا ما علمتنا » .

★ **سئل أبو يوسف عن شىء فقال** : لا أدرى .

فقيل له : تأكل من بيت المال كل يوم كذا وتقول لا أدرى .

فقال : آكل منه بقدر علمى ، ولو أكلت بقدر جهلى ما كفانى ما فى الدنيا جميعا .

زيد بن حارثة رضي الله عنه

ملخص ما سبق

○○ كان زيد غلاما يفعة – أى بدأ يصلح لقضاء ما يطلب منه – حين أهدته السيدة خديجة رضى الله عنها لزوجها سيدنا محمد ﷺ ليكون ملك يمينه .. فتولى رسول الله ﷺ تنمية شخصية زيد انسانيا ونفسيا بالحرية ، وتربويا وأسريا بالتبنى ، واجتماعيا بتزويجه ابنة عمته ، وسياسيا بالمؤاخاة بينه وبين عمه حمزة ثم بأسيد بن حضير من سادات الأنصار ثم باستخلافه على المدينة فى غياب الرسول ﷺ . فنمت شخصية زيد فى جميع هذه الزوايا نموا عظيما يحتذيه أهل التخصص فى علوم الدين والتربية والأخلاق والاجتماع والاقتصاد . وقد استطاع سيدنا محمد ﷺ أن يتجاوز بشخصية زيد فى ثمانها مجالات الأسرة والمجتمع وسياسة الناس الى مجالات الحرب والفداء ، وموعدنا اليوم مع القراء فى هذا المجال .

د. حسن الحنفى

تقول السيدة عائشة رضى الله عنها :

« **ما بعث رسول الله ﷺ زيدا فى جيش قط إلا أمّرَهُ عليهم، ولو بقي بعده لاستخلفه** » (١) .

وهذه الكلمات التى قالتها . أم المؤمنين عائشة ، شهادة كريمة غالية ، يزيد من جلال الانصاف فيها لزيد صدورها من السيدة عائشة ، لا باعتبارها زوجا لرسول الله ﷺ ولا باعتبارها أماً للمؤمنين ، ولكن باعتبارها ابنة الرجل العظيم الذى أصبح خليفة لرسول الله ﷺ ، ذلكم هو أبو بكر الصديق رضى الله عنه الذى تؤكد ابنته بكل الوضوح والصراحة أحقية رجل عظيم غير أبيها فى نفس المنصب الذى شغله أبو بكر .

وقد استعملت السيدة عائشة رضى الله عنها أقوى الأساليب الدالة على التأكيد فى لغة العرب وهى تدلى بشهادتها لصالح زيد بن حارثة رضى الله عنه . فالاستثناء المسبوق بالنفى – الذى يسمى بالقصر – فى قولها : « ما بعث رسول الله زيدا فى جيش قط الا أمره » بالاضافة الى كلمة « **قط** » ثم لام القسم فى قولها : (**لاستخلفه**) فضلا عن تنكير كلمة (**جيش**) لافادة العموم والشمول . كل ذلك يدل على شدة اقتناع السيدة عائشة رضى الله عنها بحقيقة قد تبدو غريبة على غيرها ، أو علينا نحن فى هذا العصر .

فهى رضى الله عنها تؤكد بما لا يدع مجالا للشك أن كفاءة زيد وتقييم سيدنا رسول الله ﷺ لها مقدمة على كفاءة الصديق أبى بكر ، فى حياة النبى ﷺ وبعد انتقاله . أما فى حياة النبى فقد كان التطبيق العملى حجة وبرهانا على صحة ما تقرره السيدة عائشة ، حيث كان رسول الله ﷺ يولى زيدا إمارة أى جيش يبعثه ما كان فيه زيد دون استثناء . بمعنى لو كان فى الجيش أبو بكر وعمر وغيرهما من كبار الصحابة لولّى عليهم جميعا زيدا أميرا ، ويأتى القسم الأخير من شهادة أم المؤمنين التى لم يحظ بمثلها أحد ليقرر أن هذه الثقة النبوية بزيد ظلت بنفس هذا المستوى الرفيع الذى لم يشاركه فيه حتى آخر دقيقة عاشها زيد فى هذه الدنيا ، إذ لو عاش زيد بعد رسول الله ﷺ لاستخلفه على الناس مع وجود أبيها أبى بكر الصديق رضى الله عنهم أجمعين .

ولذلك فإن هذه الشهادة من السيدة عائشة لزيد جديرة بأن تكون مدخلا طبيعيا إلى التطور والنماء فى شخصية زيد كقائد حربى منقطع النظير استطاع أن يكتسب ثقة النبى ﷺ ، والأعظم من ذلك أنه رضى الله عنه استطاع الاحتفاظ بهذه الثقة الغالية إلى نهاية الشوط فى هذه الحياة .

والحق أن مرد الأمر فى الحقيقة لقدرة النبى ﷺ التى منحها له ربه ومولاه فى تنمية شخصيات أصحابه ، والبلوغ بها الى ذروة البطولة فى شتى مجالات المسئولية والايجابية ، ذلك أن هذا المستوى الرفيع الذى حازه زيد من البطولة لم يتصف به أو يصل اليه فجأة ، وانما كان نتيجة لمواقف تربوية مطردة حرص النبى ﷺ أن يسلكها بزيد موقفا بعد موقف حتى تأصلت جذورها فى شخصيته واستقرت فى ملكاته ومواهبه ..

ومن أبرز النماذج التى حفظتها كتب السيرة لهذه المواقف الأمثلة التالية :

١ - **موقفه - كفرد من آل البيت المحمدى وكواحد من أفراد الأسرة** منذ كان غلاما وهو يشهد (معايشة) الصدق والأمانة والأبوة والرحمة فى أبيه محمد بن عبد الله .

٢ - **مشهده للبعثة وحرص النبى ﷺ على هداية أهله وقومه** وتطور العلاقات الانسانية من جانب قريش الى العداء ثم الاضطهاد والتغريب، لأصحابه .

٣ - **موقفه فى حصار النبى والمسلمين بشعب بنى هاشم** وتحمله مسئولية ابقاء الأبواب الموصدة موصولة بأسباب الحياة بهذا المحبس وبلاؤه أعظم البلاء فى شق الحصار .

٤ - **موقفه فى عام الحزن بعد وفاة خديجة وأبى طالب** واصطفاء النبى ﷺ له ليصحبه للطائف وفدائيته فى الدفاع والذود بنفسه وجسده عن رسول الله ﷺ حتى لقد شُجَّ فى رأسه شجاجا وهو يجعل من بدنه ترسا ودرعا يتقى به عن رسول الله ﷺ والأحجار التى كان يرمى بها سفهاء المشركين وصبيانهم .

٥ - **دوره فى الاعداد للهجرة ثم** بلاؤه فى الهجرة ذاتها وتكليف الرسول له بمهمات تناسب هذه الثقة وتنمى فيه معنى المسئولية حيث كلفه باحضار أم المؤمنين

السيدة سودة بنت زمعة وبعض بنات النبى ﷺ من مكة الى المدينة .

٦ – ومن هذه المواقف الموقف الذى حكاه المقريزى عن موقع زيد ومهامه فى أول غزوة أعز الله بها الاسلام وهى غزوة بدر الكبرى .

وقد كان زيد الى جوار النبى ﷺ منذ بداية الرحلة وفى هذا يقول المقريزى :

« فكان رسول الله ﷺ وعلى بن أبى طالب ومرثد بن أبى مرثد ويقال زيد بن حارثة مكان مرثد يتعاقبون بعيرا واحدا » والمعنى الذى يهمنا تسجيله من هذا النص هو تأثر زيد فى هذه المعركة الخالدة بسيدنا رسول الله ﷺ سواء كان زيد مع النبى ﷺ وعلى بن أبى طالب يتعاقبون بعيرا واحدا ، أم كان قريبا منه إلى الدرجة التى جعلت أصحاب الرواية يظنون أنه على بعير واحد مع النبى ﷺ ، وذلك أمر طبيعى اذا تذكرنا طبيعة الصلة بين زيد والبيت النبوى . مما حدى بالرسول أن يرسله ببشارة النصر بعد المعركة للمدينة على ناقته (القصواء) . ومعنى ذلك أن زيدا منذ بداية الرحلة للمعركة حتى نهايتها فى معية رسول الله ﷺ وهو مشغول بتنفيذ تعليماته وانفاذ أوامره دون أن يعنيه أو يخطر بباله شىء من أمر الغنائم التى كانت تشغل الناس فى نهاية المعارك .

هذه المواقف وأمثالها كانت تدريبا عمليا واعدادا تربويا لزيد ، وكانت البوتقة المحمدية التى أكسبت زيدا الى جوار مواهبه الاجتماعية التى نماها رسول الاسلام قوة التحمل ، والثبات والصبر ، والثقة فى الله وفى النفس مما هيأه فيما بعد ليكون فى هذه المنزلة الخاصة الكريمة .

إحصاء إجمالى لأبرز السرايا التى كان زيد أميرها

لقد أمر سيدنا رسول الله ﷺ زيدا فى كل سرية أو بعث خرج فيها كما ذكرت السيدة عائشة رضى الله عنها ، وكان زيد سباقا إلى التضحية والجهاد وبالتالى فقد عقد له رسول الله ﷺ لواء القيادة كلما خرج .

قال محمد بن عمر يذكر السرايا التى اشترك فيها زيد بن حارثة ، وولاه عليها رسول الله ﷺ أميرا :

أول سرية خرج فيها زيد سريته الى القردة .
وسريته الى الجموم .
ثم سريته الى العيص .
ثم سريته الى الطرف .
ثم سريته الى حسمى .
ثم سريته الى أم قرفة .

ثم عقد له رسول الله ﷺ على الناس فى سرية مؤتة وقدمه على الأمراء » (١) .

بيد أنه لا بد من ذكر هذه السرايا السبع التى قادها زيد بن حارثة لما لذكرها من دلالة ، إذ يكفى أن نعلم أن الرسول ﷺ كلفه بقيادة كبار الصحابة سبع مرات ، وأنه رضى الله عنه لو قُدِّر له أن يخرج أكثر من ذلك لاطردت لوازم الثقة بتوليته القيادة فى كل مرة . وقد قاست السيدة عائشة رضى الله عنها ما غاب على الشهود فافترضت على ضوء واقع حياته فروضا أكدت حدوثها فيما لو بقى حيا كما عرفنا ، وهذا الحكم الذى حكمت به عائشة لصالح زيد ، كان فى مقدمة مكوناته مشاهداتها الدائمة التى تركت فى رأيها هذا الانطباع ، فلا أقل أن نستعرض بإيجاز هذه السرايا بالاضافة الى ما سبق ذكره ، حتى تتكون لدينا الخلفية التاريخية التى تعطينا الأسباب الموضوعية للثقة الفذة التى انفرد بها زيد بن حارثة عن جميع الصحابة فأضحى ذلك الانطباع الرائع عنه ، حتى عند ابنة الخليفة الأول أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها رغم ما فى هذا الانطباع من تقديم زيد على أبيها .

○ السرية الأولى سرية القردة

« كانت هذه السرية فى شهر جمادى الآخرة على رأس ثمانية وعشرين شهرا من مهاجر رسول الله ﷺ .

وهذه أول سرية خرج فيها زيد أميرا .

(والقـــردة) من أرض نجد بين (الربـــذة) (والعمزة) .

وبعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة رضى الله عنه ليعترض عيرا لقريش فيها صفوان بن أمية وحويطب بن عبد العزى وعبد الله بن أبى ربيعة وفى رواية أخرى أبو سفيان بن حرب ومعهم مال كثير وانية فضة .

وكان دليلهم فرات بن حيان العجلى فخرج بهم على ذات عرق طريق العراق .

وكان مع زيد بن حارثة رضى الله عنه مائة راكب فاعترضوا لها ، فأصابوا العير وأفلت أعيان القوم ، وقدموا بالعير على رسول الله ﷺ . فخمسها مبلغ الخمس فيه عشرين ألف درهم ، وقسم ما بقى على أهل السرية » .(١) .

« وأسر فرات بن حيان فأتى به للنبى ﷺ ، فقيل له : إن تُسلم تترك ، فأسلم فتركه رسول الله ﷺ من القتل . ويذكر ابن هشام أبياتا من الشعر تغنى بها حسان بن ثابت رضى الله عنه يسخر فيها من مشركى قريش ويفخر فيها بزيد بن حارثة ورفاقه فى هذه السرية وقد جاء فى هذه الأبيات :

دَعُوا فَلَجَاتِ الشام قد حال دونها
جلاد كأفواه المخاض الأدارك
بأيدى رجال هاجروا نحو ربهم
وأنصاره حقا وأيدى الملائك
اذا سلكت للعور من بطن عالج
فقولا لها : ليس الطريق هنالك(١)

والذى يتأمل هذه السرية يجدها متشعبة الدلالة على كفاءة زيد التى جعلته موضع الثقة وحسن الظن عند رسول الله ﷺ وخليقا بقيادة أصحابه فى المعارك .

فهذه السرية لها دلالتها من حيث : الزمان ، والمكان ، والسبب الداعى لها ، وقادة قريش الذين كانوا فى مواجهة زيد ، وعدد الصحابة الذين كانوا تحت إمرته ، وغنائمها ، ونتائجها .. أخ .

وهذه مقتطفات موجزة تشير الى المقصود .

○ وقت السرية

فالوقت كان كما هو فى مراجع التاريخ والسيرة شهر جمادى الآخرة من السنة الثالثة للهجرة ، ومعنى ذلك أن هذه السرية كانت بعد غزوة بدر الكبرى بثمانية أشهر وقبل غزوة أحد بأربعة أشهر ، وهو وقت مبكر وحساس يدل على مدى الثقة بزيد ، إذ لا يوكل مثل هذا الأمر فى مثل هذا التاريخ الا لمن يطمأن اليه أعظم الاطمئنان ، ذلك أن قلوب قريش تمتلىء بالحقد والرغبة فى الثأر لمعركة بدر التى جعلتها كالحوش المسعور .

○ مكان السرية

ومكان هذه السرية وموقعها هو ما أطلق عليها وسميت به حين نقول (سرية القردة) (والقردة) كما عرفنا من أرض نجد ، وهو مكان عرف أهله بقوة الشكيمة وشدة الطبع ، ومن هنا فلا يوجه إليهم قائد إلا اذا عرف أنه خليق وجدير بالتفوق عليهم عسكريا فى القوة والشدة ورباطة الجأش اذ من المحتمل أن تستجير بهم قريش .

○ مهمة السرية وسببها

وتحديد مهمة هذه السرية يجعلها ملحقة بغزوة بدر ، فقد كان الهدف منها أن يعترض المسلمون عيرا لقريش ، وهو نفس السبب الذى بدأت به الأحداث فى غزوة بدر ، وهذا وحده يرفع من شأن هذه السرية ، ويعلى قدر من يتولى قيادتها ، من حيث هى امتداد للغزوة التى أعز الله بها الاسلام والمسلمين .

سادة قريش كانوا فى هذه التجارة

وحين ننظر فى عير قريش نجد أن صفوان بن أمية وحويطب بن عبد العزى وعبد الله بن أبى ربيعة ، بل وفى بعض الروايات نجد فيها أبا سفيان بن حرب .

ولا يخرج لهؤلاء الا أكفاؤهم فى القتال والحرب والبطولة ، فاذا كان على رأس السرية زيد ابن حارثة عرفنا من هو فى الكفاءة التى ستواجه هذه الوحوش الجريحة .

□ عدد الصحابة الذين كانوا تحت إمرته

كان تحت إمرته من صحابة رسول الله ﷺ مائة رجل راكب ومثل هذا العدد – اذا نظرنا لوقت السرية ومهمتها – كان كبيرا ، وفى هذا دلالة لا تخفى على مكانة زيد وأهميته بين صحابة رسول الله ﷺ مهما بلغ حجم عددهم وعدتهم .

□ حجم الغنائم

ومما يدل على الأهمية العسكرية بسيدنا زيد رضى الله عنه نجاحه العظيم فى هذه السرية ، ولغة الأرقام وحجم الغنائم فيصل فى هذه الدلالة فقد بلغ خمس الغنائم عشرين ألف درهم ، وخص كل مجاهد فى هذه السرية ثمانمائة درهم ، وهو مبلغ مالى كبير بمقياس عصره .

ولعل فى شعر حسان بن ثابت الذى سلف ذكره ما يوحى بتقييم المسلمين أنفسهم لنتائج هذه السرية المباركة .

واذا كنا قد أشرنا الى دلالات هذه السرية بالنسبة لأهمية زيد العسكرية ، فلسوف نمر فى الجزء التالى من هذه القصة على بقية السرايا بايجاز فيما عدا سرية مؤتة التى سنفرد لها حلقة خاصة لأنها كانت آخر سرايا زيد رضى الله عنه .

عاقبة البخـــــل

* دخل **الحسن البصرى** رضى الله عنه على رجل يعوده فى مرض موته ، فرآه يصعد بصره ويُصوبه إلى صندوق فى زاوية من زاوية من بيته ، ثم التفت إلى الحسن وقال : يا أبا سعيد ما تقول فى مائة ألف فى هذا الصندوق ولم أفرد منها زكاة ، ولم أصل منها رحما ؟

قال الحسن : ثكلتك أمك ... ولمن كنت تجمعها ؟

قال الرجل : لروعة الزمان ، وجفوة السلطان ، ومكاثرة العشيرة ثم مات الرجل فشهد « **الحسن** » جنازته ، فلما فرغ من دفنه ضرب بيده على القبر ثم

قال :

أنظروا إلى هذا .. أتاه شيطانه فخوفه روعة زمانه ، وجفوة سلطانه بما استودعه الله إياه .

أنظروا إليه كيف خرج منها مذموما مدحورا ، ثم التفت إلى وارثه **وقال له** :

– أيها الوارث لا تخدعن كما خدع صويحبك بالأمس ، أتاك هذا المال حلالا فلا يكون عليك وبالا . أتاك عفوا صفوا ممن كان جموعا منوعا ، من باطل جمعه ، ومن حق منعه ، قطع فيه لجج البحار ، ومفاوز القفار ، لم تكدح لك فيه يمين ، ولم يعرق لك فيه جبين ، إن يوم القيامة ذو حسرات ، وإن من أعظم الحسرات غدا أن ترى مالك فى ميزان غيرك ، فيا لها من حسرة لا تقال ، وتوبة لا تنال .

والمشكلة الاقتصادية

تأليف: الدكتور محمد شوقي الفنجري
عرض: مأمون النجار

○○ يعرض المؤلف فى هذا الكتاب تصوُّر الاسلام لمشكلة الفقر وكيف يعالجها فى دراسة مقارنة مع الاقتصادين الرأسمالى والاشتراكى . ويمهد المؤلف لكتابه فيقول : إن موضوع المشكلة الاقتصادية وعلاجها هو موضوع الاقتصاد كله ممثلا فى ضرورة كفاية الانتاج وتكافؤ التبادل ، وعدالة التوزيع ، وترشيد الاستهلاك . فهى بذلك تتناول عدة جوانب أساسية يتصل بعضها ببعض اتصالا وثيقا ، ويشير المؤلف هنا الى ظاهرة الانفجار السكانى فى الدول النامية والتهامها كل معدلات التنمية بها ، وظاهرة تسابق دول العالم أجمع ، متقدمة كانت أو نامية فى التسلح والانفاق العسكرى مما أثر على معدلات التنمية ، وظاهرة حمى الاستهلاك أو النهم الاستهلاكى التى تسود عالم اليوم ، بكافة دوله متقدمة كانت أو نامية ، وظاهرة تفاقم الفجوة بين الدول المتقدمة والدول النامية ، وما يستتبع ذلك من ضياع واضطراب وعدم استقرار . وينتهى المؤلف فى تمهيده للكتاب الى أن الأنظمة الاقتصادية الوضعية قد فشلت فى حل ما يعانيه العالم من أزمات اقتصادية ، وأنه ما دمنا بصدد التفكير الجدى فى نظام اقتصادى عالمى جديد ، فإنه يجدر بنا أن نفتح الباب واسعا لدراسة المشكلة الاقتصادية على ضوء الاسلام ، وعلى ضوء ذلك يعالج المؤلف فى كتابه ثلاثة موضوعات أو مطالب رئيسية هى : ما هية المشكلة الاقتصادية – الاسلام والعامل المادى – تشخيص الاسلام للمشكلة الاقتصادية وموقفه منها .

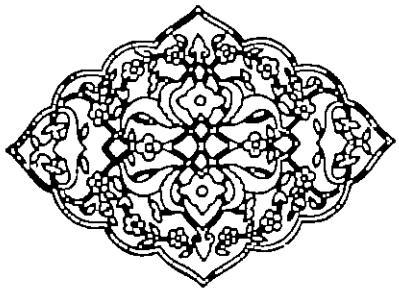

فى المطلب الأول وهو ما هية المشكلة الاقتصادية
يُقسّمُ المؤلف دراسته الى ثلاثة فروع هى :

المشكلة الاقتصادية هى مشكلة الفقر .

مشكلة الفقر قديمة وان اشتدت وطأتها مؤخرا .

حقيقة مشكلة الفقر .

فى الفرع الأول يقول المؤلف إن المشكلة الاقتصادية هى أهم مشكلات الحياة وبعبارة مبسطة هى مشكلة الفقر الذى لا يعدو كونه مظهرا من مظاهر زيادة الحاجات على ندرة الموارد ثم يتحدث عن اختلاف مفهوم المشكلة الاقتصادية بحسب اختلاف المفاهيم الاقتصادية ففى الفكر الاقتصادى التقليدى تتوافر مشكلة الفقر فى عدم توافر الحد الأدنى اللازم للمعيشة وهو ما عبر عنه أصحابُ هذا الفكر باصطلاح « حدّ الكفاف » .

وفى الفكر الاقتصادى الاسلامى تتمثل المشكلة فى عدم توافر الحد اللائق للمعيشة وهو ما عرف بمصطلح « حدّ الكفاية » وأحيانا « حدّ الغنى » بمعنى أن يُعَدَّ الفردُ فقيرا متى لم يتوافر له متطلباته بالقدر الذى يجعله فى مجموعة من العيش وغِنىً عن غيره .

ويعنى هذا أن المشكلة الاقتصادية فى الاسلام لم ترتبط منذ البداية بهدف توفير الضروريات الأساسية للمعيشة ، وإنّما يهدف رفع مستوى المعيشة وتَحْسِينَهُ وهو ما انتهى اليه أخيرا الفكرُ الاقتصاديُّ الحديث بعد أربعة عشر قرنا معبرا عنه باصطلاح « الرفاهية الاقتصادية » أو « الرخاء المادى » . الا أن المؤلف يفضل الابقاء على الاصطلاح الدقيق الذى أخذ به الفقهاءُ القدامى وهو اصطلاح « حد الكفاية » وذلك لسببين رئيسيين :

أولهما : أن المال فى الاسلام ليس غايةً وانما هو وسيلة لراحة الانسان وسعادته ليكون بحق خليفة الله فى أرضه . وثانيهما : أن الاسلام يأمر بالتزيّن ولكنّهُ ينهى عن الترف ، وبعبارةٍ أخرى انه يفرق بين « التزين المباح » وبين الترف المنهى عنه . وقد ارتبط هدف الرفاهية الاقتصاديّة فى الغرب بالكماليات والترف المنهىّ عنه .

فى الفرع الثانى وعنوانه « مشكلة الفقر قديمة وان اشتدت وطأتها مؤخرا » يقول المؤلف : اننا لم نشعر بوطأتها الا تدريجيا بزيادة حاجات الانسان تبعا لدرجة تطوره وتقدمه . فالانسان الأول رغم قلة موارده لم يكن يشعر بوطأة الفقر نظرا لقلة حاجاته وتطلعاته .

وقضية الفقر نسبية تختلف باختلاف الزمان والمكان فلا شك أن فقير العصر الحاضر يعتبر غنيا بالنسبة الى انسان العصور القديمة كما أن متوسط الحال فى مصر أو الهند يعتبر فقيرا بالنسبة لمتوسط الحال فى أمريكا مثلا . وقد بلغت مشكلة الفقر ذروتها فى عصرنا الحالى بحكم سهولة اتصال الناس ببعضهم البعض وظهور الفوارق مع ازدياد الوعى الاجتماعى .

فى الفرع الثالث يتحدث المؤلف عن حقيقة مشكلة الفقر وكيف أنه يتمثل فى عدم بلوغ المستوى اللائق للمعيشة بحسب ما هو سائد فى المجتمع مما يختلف باختلاف الزمان والمكان .

ومن ذلك يتبين أن الفقير فى الاسلام هو من يعيش فى مستوى تفصله هوة سحيقة عن المستوى المعيشى السائد فى المجتمع المحلى أو العالمى . وباصطلاح الفكر الاقتصادى الاسلامى هو من لا يتوافر له حد الكفاية لا حدّ الكفاف . ومن ثم فان الحل الاسلامى لمشكلة الفقر هو ضمان حدّ الكفاية بكل فرد يوفره لنفسه بعمله وجهده ، فان لم يستطع ذلك لسبب خارج عن ارادته كمرض أو عجز أو تعطل تكفلت له بذلك النولة من مال الزكاة .

ينتقل المؤلف بعد ذلك الى المطلب الثانى فى الكتاب وعنوانه « الاسلام والعامل المادى » فيقول ان الحاجات مادية كانت أو معنوية هى الحافز على النشاط والباعث على الحركة ، بل هى سر الحياة اذ بدونها تنعدم الحركة وتنتفى الحياة . ثم يتحدث عن أهمية العامل المادى وأهمية العامل الروحى ويقول انه لا بد للتقدم الحقيقى من توافر العاملين فلا قيمة لحضارةٍ متقدمة وتكنولوجيا متفوقة بدون مُثُل وارتباط بالله وخشيته والا أصبحت هذه الحضارة عنصر فساد وتدمير .

ويتناول المؤلف بعد ذلك العامل المادى فى نظر الاسلام فيقول إن الاسلام لم يهون من شأنه ويتحدث

عن حقيقة أحاديث مدح الفقر فيقول أنه اذا صح ذلك فالمراد به هو الفقر الى الله تعالى والعبودية لله سبحانه وهو ما عبرت عنه الآية الكريمة : « يا أيها الناسُ أنتم الفقراءُ الى الله ، والله هو الغنى الحميد » . ثم يتحدث عن حقيقة أحاديث التعوّذ من الغنى فيقول إنه الغنى المذموم الذى لا يعرف صاحبه قدره فيؤدى به الى البَغى والبطر بدلا من الحمد والشكر ، أو إلى اللهو والفساد بدلا من الاستقامة والعمل النافع .

وحينئذ يصير الغنى بحق نقمة ومصيبة يُبتلى بها المرء وهو ما عبرت عنه الآيةُ الكريمة بقوله تعالى : « وإذا أردنا أن نُهلِك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها ، فحق عليها القول فدمّرناها تدميرا » .

أما الأحاديث الصحاح الواردة فى مدح الزهد ، فإنها لا تعنى مدح الفقر ، اذ الزاهد ليس هو الضعيف العاجز عن تحصيل المال ، وإنما هو القوى الذى يملك المال ثم يزهد فيه بإنفاقه فى سبيل الله . فالزهد فى الاسلام لا يتأتى مع الفقر وإنما يتأتى مع الغنى ، فهو زهد القادرين على أن يزهدوا أو لا يزهدوا ، أى أنه يخضع لقدرة الانسان واختياره فيكون له أجره وثوابه عند الله .

والمادة فى الاسلام ليست غاية ، وإنما هى مجرد وسيلة لتوفير أسباب الراحة للانسان ، ومن أجل تنمية ملكاته وزيادة قدرته على العمل والانتاج ، بحيث يكون بحق خليفة فى أرض الله .. المال فى الاسلام مطلوب ، لكن ليس لذاته ، وإنما ليُبتغى به وجه الله و الصالح العام .

ومن هنا ندرك قول الرسول عليه السلام : « نعم المال الصالح للعبد الصالح » وندرك أيضا كيف أن الإسلام لا يضع حدا للاكتساب والاغتناء ، ولكنه يضع شروطا لكيفية اكتساب المال وضوابط لكيفية انفاقه .

وقد وضع الاسلام الفاصل المادى حيث يجب أن يوضع عاملا مؤثرا ضمن عوامل أخرى فالمادة أو المال ليس كل شىء فى حياة الانسان فهو ليس مادة وجسما فحسب ، وإنما هو أيضا نفس وعقل وتطلعات روحية . فغاية وجود الانسان فى نظر الاسلام ليست مجرد الكسب أو الرخاء المادى كما تصورت أغلب النظم الوضعية ، وانما هى أساسا ابتغاء وجه الله تعالى وما يستتبعه من سيادة روح التقوى والتعاون لا الأثرة والصراع ، وهو انفاذ كلمة الله سبحانه بتعمير الدنيا وتنميتها (هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها) أى كلفكم بعمارتها لتكونوا بحق خلفاء الله فى أرضه ، وليسود العالم فى النهاية الحب والرضا وسعادة القرب من الله .

ونمضى مع المؤلف وهو يتحدث عن العامل المادى وكيف أن الاسلام يدفع به الى الصدارة . فالمال زينة الحياة وقوام المجتمع ونعم العون على تقوى الله ، وطلب المال الحلال فريضة وجهاد فى سبيل الله . والفقر عقوبة وغضب من الله ، والغنى مثوبة وفضل من الله .

وقد ساوى الاسلام بين الفقر والكفر ، ولم يستعذ الرسول من شىء بقدر استعاذته من الفقر ، فيقول عليه السلام : « كاد الفقر أن يكون كفرا » ويقول : « اللهم إنى أعوذ بك من الكفر والفقر » . قال رجل أيعدلان ؟ قال : نعم .

وقد ارتبطت العبادة فى الاسلام بتأمين الناس فى حياتهم المعيشية ، قال تعالى : « فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف » . وقد اعتبر الاسلام مجرد ترك أحد أفراد المجتمع جائعا أو ضائعا هو تكذيب للدين نفسه . قال تعالى : « أرأيت الذى يكذب بالدين ، فذلك الذى يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين » . وقال تعالى : « وما أدراك ما العقبة ، فك رقبة أو

إطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما ذا مقربة أو مسكينا ذا متربة » .

فى المطلب الثالث من الكتاب يتحدث المؤلف عن تشخيص الاسلام للمشكلة الاقتصادية وموقفه منها فيتناول سبب المشكلة وحلها فى الاقتصاد الرأسمالى والاشتراكى والاسلام ثم ينتقل الى أحكام الاسلام بالنسبة للانتاج أو سياسة ونظرية الانتاج فى الاقتصاد الاسلامى ثم يعرض لأحكام الاسلام بالنسبة للتوزيع .

يبدأ المؤلف بتشخيص المشكلة فيقول إن مردها الى الانسان نفسه وقصور سلوكه سواء من حيث الانتاج أو من حيث الاستهلاك . ففى دول آسيا وأفريقيا يتعرض الملايين للجوع وسوء التغذية ، بينما بها ملايين الأفدنة الصالحة للزراعة وكذا ثروات معدنية بغير حصر دون استغلال ولا تحتاج لأكثر من الخبرة والمال . فى الوقت الذى تقدر فيه نفقات التسليح فى العالم بأكثر من ٣٥٠ مليار دولار فى السنة . ومن حيث العلاج يقول المؤلف إن مشكلة الفقر فى نظر الاسلام هى مشكلة ظلم الانسان بسوء توزيع الثروة الى جانب كفره بالنعمة بإهماله جميع المصادر التى تفضل الله بها عليه استغلالا قلما ،وسوء استخدامه واستهلاكه لها .

ويتناول المؤلف بعد ذلك سبب المشكلة وحلها فى الاقتصاد الرأسمالى فيقول : إن الرأسماليين يعتبرون الفقراء أنفسهم هم سبب المشكلة الاقتصادية سواء لكسلهم أو لسوء حظهم بشح الطبيعة أو قلة الموارد . فقضية الفقر فى الاقتصاد الرأسمالى هى أساسا قضية قلة انتاج وقد رتب الرأسماليون على ذلك أن على الدولة أن تتيح الحرية المطلقة للجميع لينتجوا ويكسبوا ويغتنوا دون قيد أو شرط ، وأن على من خانه الحظ أن يرضى بواقعه .

أما فى الاقتصاد الاشتراكى فإن ما يحدث هو العكس فسبب المشكلة الاقتصادية هم الأغنياء باستئثارهم دون الأغلبية الكادحة لخيرات المجتمع ، وهو ما يسبب التناقض بين قوى الانتاج وعلاقات التوزيع . فقضية الفقر فى الاقتصاد الاشتراكى ، هى أساسا قضية سوء توزيع . وقد رتب الاشتراكيون على ذلك نظريتهم فى الصراع بين الطبقات ، والتركيز على تغيير أشكال الانتاج بتصفية الملكية الخاصة والقضاء على الأغنياء .

أما فى الاسلام فمرد المشكلة ليس الفقراء أو قلة الموارد كما يقول الرأسماليون ، وليس الأغنياء كما يقول الاشتراكيون . وإنما هو القصور فى استغلال الموارد الطبيعية لا قلة هذه الموارد . وهو ما عبرت عنه الآية الكريمة بقوله تعالى : « وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الانسان لظلوم كفار » . وهو ثانيا أثرة الأغنياء وسوء التوزيع لا الملكية الخاصة نفسها . فالمشكلة فى محصلتها النهائية مشكلة الانسان نفسه وفساد نظامه الاقتصادى سواء من حيث ضعف الانتاج أو سوء التوزيع . والحل فى نظر الاقتصاد الاسلامى هو التقريب بين الأغنياء والفقراء وبالتالى إحلال التعاون والتكامل بينهما وليس التناقض والصراع ثم هو فى النهاية وعلى خلاف كافة المذاهب والنظم الاقتصادية الوضعية ، لا يستهدف مجرد تحقيق الرخاء المادى ، وإنما هو يستهدف أساسا الجانب الروحى والخلقى بحيث يكون الناس جميعا خلفاء فى أرض الله يعمرون الدنيا بوفرة الانتاج وعدالة التوزيع .

يتناول المؤلف بعد ذلك أحكام الاسلام بالنسبة للانتاج أو سياسة ونظرية الانتاج فى الاقتصاد الاسلامى فيذكر أن الانسان قد استخلفه الله فى أرضه ولذلك كرمه وفضله على سائر المخلوقات بقوله تعالى : « **ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا** » :

ويتناول المؤلف أهم تعاليم الاسلام فى ممارسة الانتاج فيقول إن العمل والانتاج واجب وحق فى آن واحد . فالعمل فى الاسلام واجب على كل فرد ومن هنا كانت كراهية الاسلام للتسول والشحاذة ، فيقول عليه السلام : « من سأل مسألة وهو عنها غنى كانت شينا فى وجهه يوم القيامة » وفى رواية أخرى: «فإنما يسأل جمرا » . أما الشخص الذى لا يجد عملا أو لا يقدر على العمل لمرض أو شيخوخة ، فإن مسئوليته تقع على الدولة ، فعليها أن توفر له أسباب العمل المناسب ، وإلا التزمت بنفقته ونفقة من يعولهم .

ولم يكتف الاسلام بالحث على العمل والانتاج بقوله تعالى : « **وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون** » وقول الرسول عليه السلام : « **اعملوا فكل ميسر لما خلق له** » ، وإنما اعتبر العمل وزيادة الانتاج عبادة فيقول تعالى : « **ويستجيب للذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله** » أكثر من ذلك اعتبر الاسلام السعى على الرزق وخدمة المجتمع أفضل ضروب العبادة . يقول ﷺ :« **لأن يمشى أحدكم مع أخيه فى قضاء حاجته أفضل من أن يعتكف فى مسجدى هذا شهرا** » .

ولقد أوجب الاسلام اتقان العمل والانتاج ، واعتبر ذلك أمانة ومسئولية فالله تعالى يقول : « ولتسألن عما كنتم تعملون » ويقول تعالى : « وأحسنوا إن الله يحب المحسنين » ويقول الرسول عليه السلام : « إن الله يحب اذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه » .

كما أوجب الاسلام تنويع الانتاج بحيث يشمل كافة الحاجات البشرية ، ذلك أن القاعدة فى الاسلام أن كل ما لا يتم الواجب إلا به يصير واجبا . وترتب على ذلك أن كل ما لا يقوم به الأفراد من النشاط الاقتصادى كالصناعات الثقيلة والمرافق العامة ، يصبح شرعا فرضا على الدولة القيام به .

وقد نهى الاسلام عن كنز المال بحبسه عن التداول والانتاج وما من آية قرآنية تتكلم عن الايمان إلا وتقرنه بالعمل الصالح والانفاق فى سبيل الله أى سبيل تنمية المجتمع ونفع المواطنين بل لقد بلغ حرص الاسلام على الانتاج وتعمير الدنيا أن قال الرسول عليه السلام : « اذا قامت الساعة وفى يد أحدكم فسيلة – أى شتلة – فاستطاع ألا تقوم حتى يغرسها فليغرسها فله بذلك أجر » .

كذلك نهى الاسلام عن الانتاج الضار كانتاج الخمور بقوله تعالى : « إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون » . كما نهى عن الانتاج والتعامل بالربا .

فيقول تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين ، فإن لم تفعلوا فأذنوا **بحرب من الله ورسوله ، وان تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون** » .

يتحدث المؤلف بعد ذلك عن عناصر الانتاج وعائدها فى الاقتصاد الرأسمالى والاشتراكى والاسلامى فيقول ان هذه العناصر فى الاقتصاد الرأسمالى أربعة هى العمل وعائده الأجر والطبيعة وعائدها البيع ، ورأس المال وعائده الفائدة ، والمنظم وعائده الربح .

وفى الاقتصاد الاشتراكى عنصر الانتاج الأساسى هو العمل وعائده هو الأجر أو الراتب أما بقية العناصر لأخرى فتظل موجودة وإنما ينتقل عائدها الى الدولة تتصرف فيها بحسب خطة التنمية .

أما فى الاقتصاد الاسلامى فعناصر الانتاج اثنان هما : العمل ورأس المال ، مع ملاحظة أن رأس المال وحده لا يكون له عائد الا اذا ساهم مع العمل فى الغرم ، وحينئذ يكون له نصيب فى العائد فى صورة ربح لا فائدة وايجار لا ريع .

وعنصر رأس المال وحده ليس له عائد فى الاسلام ، اذ المال لا يلد مالا . وانما يتحقق عائده اذا شارك عنصر العمل متحملا غرمه كما يستفيد من غنمه .

ويمضى المؤلف دكتور شوقى الفنجرى فيتناول بعد ذلك نظرية التوزيع فى الاقتصاد الاسلامى فيقول ان المال مال الله والبشر مستخلفون فيه ، فالاستخلاف عام لكل البشر ، ولا يحصل الأفراد على حق الملكية الخاصة أى الفردية إلا مقابل عملهم ، ومن ثم يملكهم الشرع الاسلامى بالشروط التى يحددها . والمقصود بالملكية الفردية هو ملكية الفرد بالنسبة للأفراد

الآخرين ، أو قل ملكية أشخاص أو الملكية المجازية ، اذ المالك الحقيقى لكل شىء هو الله تعالى .

ومن هنا فإن حيازة المال فى الاسلام ليست امتلاكا ، وإنما هى أمانة أو وديعة يحاسب عليها المرء . وبذلك يتميز الاسلام فى نظرته وموقفه بالنسبة للملكية الفردية عن سائر المذاهب والأنظمة الوضعية ، فهو لا ينكرها شأن المذاهب الجماعيه والنظم الاشتراكية ، وهو فى نفس الوقت لا يطلقها شأن المذاهب الفردية والنظم الرأسمالية وانما هو يعترف بها نتيجة عمل وجهد .

واستنادا الى أن المال فى الاسلام هو مال الله والبشر مستخلفون فيه ، كان المبدأ أو الأصل الاقتصادى الاسلامى الهام أن لكل حد الكفاية أولا ثم لكل تبعا لعمله .

وفى الظروف الاستثنائية فقط كالمجاعة أو الحرب يتساوى المسلمون فى حد الكفاف ، وللملكية الخاصة حرمة كبرى فى الاسلام فالله تعالى يقول : « **ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل** » والرسول عليه السلام يقول : « **كل المسلم على المسلم حرام ماله ودمه وعرضه** » . الا أن هذه الحرمة مشروطة بضمان حد الكفاف لكل مواطن ، بحيث أنه اذا وجد فى مجتمع اسلامى جائع واحد أو عار واحد ، فان حق الملكية لأى فرد من أفراد المجتمع لا يجب احترامه ولا تجوز حمايته . وهذا يفسر لنا قول الرسول الكريم : « اذا بات مؤمن جائعا فلا مال لأحد » . وفى هذا المعنى يقول الصحابى أبو ذر الغفارى : « عجبتُ لمن لا يجد القوت فى بيته كيف لا يخرج على الناس شاهراً سَيْفَهُ » .

*

يتحدث المؤلف بعد ذلك عن التفاوت المنضبط أو حفظ التوازن الاقتصادى بين أفراد المجتمع فيقول : إن أساس الثروة والغنى فى الاسلام هو العمل . واذا كان الناس يتفاوتون فى كفايتهم وفى مقدار ما يبذلونه من جُهْد ، فإنه من الطبيعى أن يتفاوتوا فى مقدار ما يحصلونه من دخل ويكونونه من ثروة فهذا أمر طبيعى فى الاسلام باعتباره حافزا على الجد والعمل الا أن التفاوت الذى يسمح به الاسلام هو التفاوت المنضبط أى بالقدر الذى يحفز على العمل ويحقق التكامل لا التناقض والتعاون لا الصراع وذلك عن طريق ثلاث وسائل هى : عدم السماح بالثروة والغنى الا بعد ضمان حد الكفاية ، عدم السماح باستئثار أقلية بخيرات المجتمع – اعادة التوزيع عند افتقاد التوازن .

* لما نزل قوله تعالى « خذ العفو ، وأمر بالعرف ، وأعرض عن الجاهلين » قال النبى ﷺ : ما هذا يا جبريل ؟

قال : إن الله يأمرك أن تصل من قطعك ، وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك .

* قال معاوية إلى « عبيد بن شريه » : سل ما شئت !

فقال : ما مضى من عمرى ترده ، والأجل إذا حضر تدفعه .

قال : ليس ذلك لى سل غيره !

قال : يا أمير المؤمنين ليس إليك رد شبابى ، ولا الآخرة فتكرم مآبى ، والمال قد أخذت منه فى عنفوانى ما كفانى .

قال : لابد أن تسألنى :

قال : أما إذا شئت فمر لى برغيفين أتغذى بأحدهما وأتعشى بالآخر واتق الله ، واعلم أنك مفارق ما أنت فيه ، ونادم على ما قدمت .

فأمر له معاوية بأشياء من حنطة وغيرها فردها .

وقال : إن أعطيت المسلمين كلهم مثل ما أعطيتنى وإلا فلا حاجة لى فى ذلك ، ثم ودعه وانصرف .

* * * * *

* قـــال الشـــاعر :

إذا جادت عليك الدنيا فجُد بها
على الناس طرا قبل أن تتفلت
فلا الجود يفنيها إذا هى أقبلت
ولا البخل يبقيها إذا ما توليت

حصيلة المعرفة

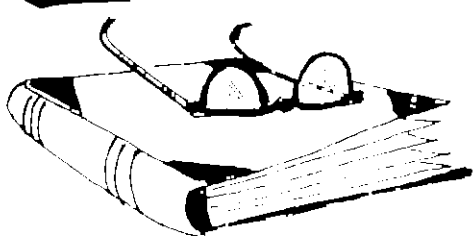

إعداد: **محمد شلبى**

من فصاحة النساء

★ دخلت امرأة على « هارون الرشيد » وعنده جماعة من وجوه أصحابه فقالت :

ـ يا أمير المؤمنين ... **أقر الله عينك ، وفرّحك بما أتاك وأتم سعدك ، لقد حكمت فقسطت .**

فقال لها الرشيد : **من تكونين ؟**

فقالت : **من آل برمك ، ممن قتلت رجالهم ، وأخذت أموالهم ، وسلبت نوالهم .**

فقال : **أما الرجال فقد مضى فيهم أمر الله ، ونفذ فيهم قدره ، وأما المال فمردود إليك .**

ثم التفت « هارون الرشيد » إلى الحاضرين من أصحابه فقال :

ـ **أتدرون ما قالت هذه المرأة ؟**

فقالوا : **ما نراها قالت إلا خيرا !**

قال : **ما أظنكم فهمتم ذلك .**

أما قولها : « **أقر الله عينك** » أى أسكنها عن الحركة وإذا سكنت العين عن الحركة عميت .

وقولها « **وفرحك بما آتاك** » فأخذته من قوله تعالى : « **حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة** » .

وأما قولها : « **وأتم الله سعدك** » فأخذته من قول الشاعر :

إذا تم أمر بدا نقصه ترقب زوالا إذا قيل تم

وأما قولها : « **لقد حكمت فقسطت** » فأخذته من قوله تعالى :

« **وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا** »

فتعجبوا من ذلك !

* * *

إن هو إلا وحى يوحى

★ **قال تعالى « مرج البحرين يلتقيان . بينهما برزخ لا يبغيان . فبأى آلاء ربكما تكذبان . يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان . فبأى آلاء ربكما تكذبان وله الجوار المنشآت فى البحر كالأعلام » . صدق الله العظيم** (الرحمن ١٩-٢٤) .

المستر « **براون** » **الربان الإنجليزى تعمد أن يعرف بعض المسلمين فى بعض ثغور الهند . فسألهم : أتعلمون أن نبيكم محمدا ﷺ . سافر فى البحار ؟**

قالوا : **لا إنه لم يرو عنه أنه سافر فى البحر قط .**

فاعتقد أن ما فى القرآن مما ذكر لم يكن إلا بوحى من الله تعالى فهذا النبى العظيم ، وأعظم منه ما فيه من آيات التوحيد والتشريع والتهذيب التى هى أكمل وأقرب إلى العقل والفطرة من كل ما فى التوراة والإنجيل ، فأسلم عن علم وبصيرة .

ومكث زمنا طويلا يتعبد مما يفهمه من ترجمة القرآن حتى أتيح له ترك عمله فى البحر ، فأقام فى مصر وتعلم العربية ، وعاشر فضلاء المصريين . إنه المستر « **عبد الله براون** » عليه رحمة الله .

★ **قيل لإبراهيم بن أدهم : لم لم تصحب الناس ؟**

فقال :

إن صحبت من هو دونى آذانى بجهله ،
وإن صحبت من هو فوق تكبر علىّ ،
وإن صحبت من هو مثلى حسدنى ،
فاشتغلت بمن ليس فى صحبته ملال ولا فى وصله انقطاع ، ولا فى الأنس به وحشة .

* * *